٢١٨٧
ت ٢ ج

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة بالمدينة المنورة
قسم الدعوة والاحتساب

التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة إلى الله تعالى

بحث مكمل لنيل درجة «الماجستير»

إعداد
الطالب/ عبد الله عياد صبر العروي الجهني

إشراف
الأستاذ الدكتور/
عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

عام ١٤١٣هـ/ ١٤١٤هـ

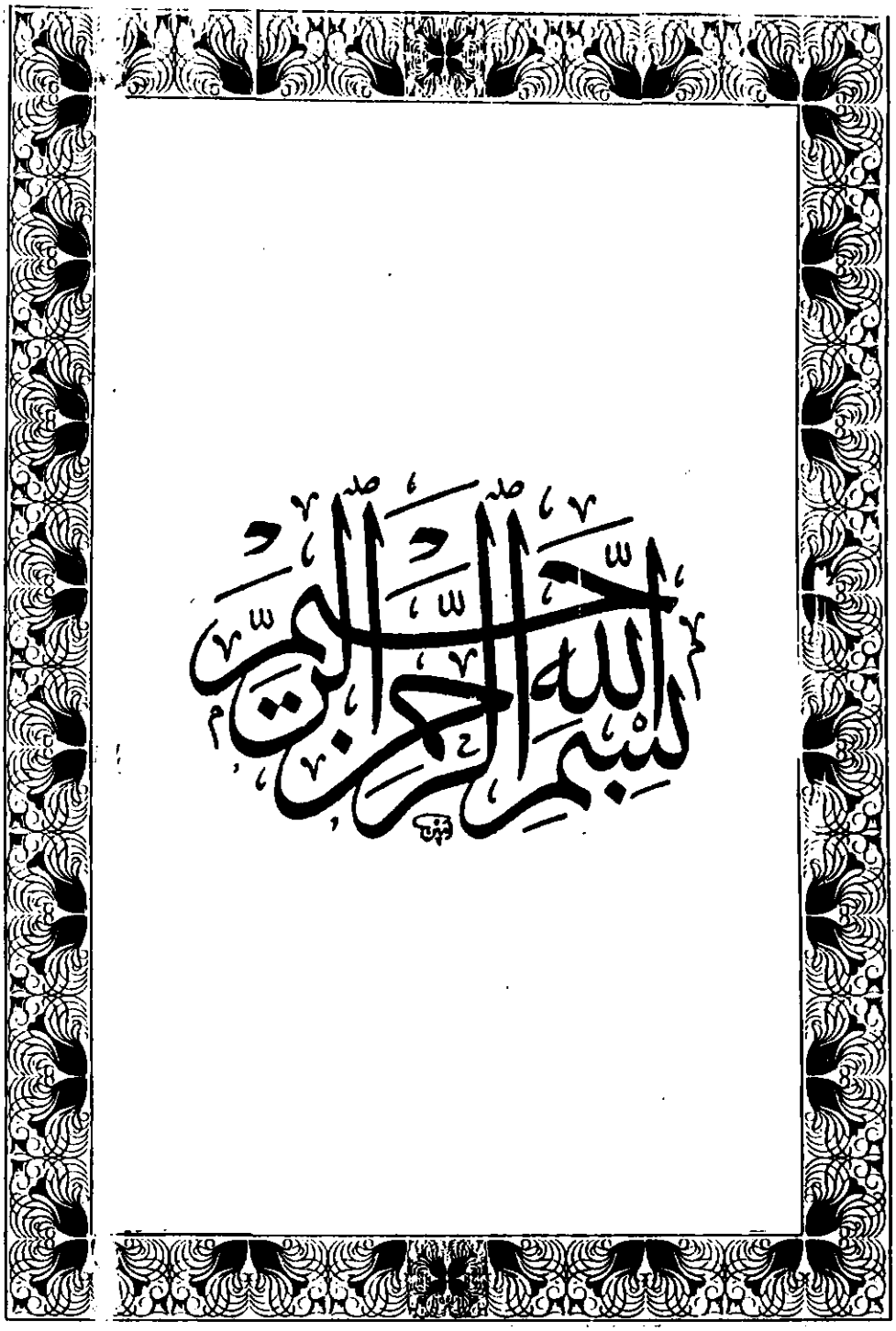
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقديـــــر

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على نعمائه وتوفيقه ، فله الحمد والمنة أولا وآخراً ، ثم إنني اعترافاً بالفضل لأهله ، أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ممثلة في كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، حيث أتاحت لي فرصة مواصلة دراستي العليا بقسم الدعوة والإحتساب ، فجزى الله القائمين عليها ، خير الجزاء ، وبارك في جهودهم.

كما أتوجه بالشكر لجميع المسؤولين في كلية الدعوة بالمدينة المنورة من إداريين ، وأعضاء هيئة التدريس ، وعلى رأسهم عميد الكلية ووكيلها ، على ما يبذلونه من جهود في خدمة العلم وطلابه ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وضاعف مثوبتهم إنه سميع الدعاء.

كما أخص بالشكر الجزيل فضيلة المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور عبدالخالق إبراهيم إسماعيل ، الذي بذل الكثير من وقته وراحته ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات القيمة ، لرفع مستوى هذا البحث ، فقد وجدت منه عناية شاملة أعانتني على إنجاز هذا البحث في الوقت المناسب ، وما يظهر في هذا البحث من نقص فهو بسبب تقصيري عن إيفاء توجيهاته حقها ، فجزاه الله خيراً وأجزل له الثواب إنه سميع قريب مجيب الدعوات..

كما أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة المناقشين على تفضلهما بقبول عضوية مناقشة هذا البحث وإعطاء الكثير من وقتهما وراحتهما لقراءة هذا البحث ، فجزاهما الله خيراً.

كما أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد ولو بالدعاء والتشجيع ، أو أبدى إلي نصحاً أو إرشاداً أو إعارة مراجع ، فلهم مني الشكر الجزيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

ooo

oo

o

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي رسم لرسوله ﷺ ولدعاة الإسلام من بعده القواعد الأساسية لأساليب الدعوة إلى الإسلام ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾(١) وقال تعالى : ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾(٢) ، وقال تعالى ممتدحاً الدعاة إليه : ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾(٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الأخيار الذين قاموا ببذل أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل نشر الدعوة وتبليغها ، رضي الله عنهم أجمعيـــــن ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

---

١) سورة النحل : ١٢٥.

٢) سورة يوسف : ١٠٨.

٣) سورة فصلت : ٣٣.

أما بعد :

فإن تبليغ الدعوة الإسلامية واجب على كل مسلم بقدر استطاعته لئلا تغيب عن ذاكرة المؤمنين ، أو يبتعد بيانها عن واحد من الناس ، إذ أن طبيعتها الحركة الهادفة ، والوصول إلى كل مكان في العالم.

كما أن مصلحة الناس وسعادتهم تدعو إلى هذا التبليغ لأن غايتها هداية الناس إلى الحق وإرشادهم إلى الخير وتحبيبه إليهم وتنفيرهم من الباطل والشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وهذا يتطلب من الداعية أن يعمل جاهداً على تغيير ما في نفوس المدعوين من معتقدات فاسدة موروثة ، أو أخلاق رذيلة ، نشأ عليها المدعوون ، واستبدال كل ذلك بالمعتقدات الصحيحة والأخلاق الفاضلة. ويشمل هذا التغيير كل اعوجاج يجده الداعية في المجتمع الذي يدعو فيه ، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولا شك أن هذا ليس بالأمر اليسير ، إذ إن النفس يشق عليها ترك ما تعودت عليه بمجرد الأمر أو النهي دفعة واحدة ، فالزرع لا يستوي ساعة البذر ، ولا ينضج ساعة النبت ، بل لا بد من المكوث شهوراً حتى تجنى الثمار. وكذلك الداعية ، فإن عليه أن يختار الأسلوب المناسب لدعوته ، في ضوء القرآن والسنة ، وسيرة السلف الصالح ، رضي الله عنهم ، ولا يستعجل النتائج ، إذ إن الأسلوب هو المفتاح الذي يفتح به الداعية مغاليق القلوب ، والعقول ، إذا ما اكتملت فيه عناصر الأداء المتكامل القوي من حسن العرض ، ومعرفة مداخل النفس البشرية ، واللسان الواضح المبين ، والتدرج ، وذلك بعرض أصول الدعوة المراد تبليغها للمدعوين ، وشرحها بإجمال ، مع مراعاة قوة إدراك المدعوين واستعدادهم لقبول الدعوة ، ثم الانتقال من الإجمال في الشرح إلى البسط والتوسع ، وأخيراً عرض دقائق تلك الدعوة ، وبيان ما اعتورها من خلافات وما تفرع عنها من مسائل.

وبما أن التدرج من عناصر الأسلوب القوي المتكامل في الدعوة إلى الله ، فإنني سأقدم فيه بحثاً مكملا لدرجة الماجستير ، بعنوان (**التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة إلى الله**).

ولست أدعي إيفاء الموضوع حقه من البحث والتقصي ، وإنما هو جهد المقل ، ومحاولة طالب أراد الإسهام في كتابة بحث له صلة قوية بنجاح الدعوة الإسلامية ، لينضم به إلى زمرة الدعاة ، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وحسبي أن أكون لهم جليساً ، وبهم مقتدياً ومتأسياً ، وبين رحاب الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة متصفحاً ، فما هي إلا نصوص أخذتها من هنا وهناك ، وجمعت بينها لتزداد جمالا باجتماعها ، وتناسقاً بترتيبها.

والله أسأل أن يوفقني إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تتمثل أهمية هذا البحث وسبب اختياره في عدة جوانب ، من أهمها:

١) أنه عنصر من عناصر الأسلوب القوي المتكامل في الدعوة إلى الله ، وينبغي للدعاة استخدامه في دعوتهم في ضوء أحكام القرآن والسنة ، حتى تؤتي الدعوة ثمارها ، وتقود المسلمين إلى الصراط المستقيم.

٢) أنه أسلوب تربوي يراعي قدرات المدعوين ، واستعداداتهم ، فالشيء إذا كان ابتداؤه سهلا حبب إلى من يدخل فيه ، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده.

٣) أهمية هذه الدراسة لارتباطها بالدعوة الإسلامية التي هي فرض على

كل مسلم ، بقدر استطاعته ، وإسهاماً مني في مشاركة إخواني الدعاة ، ولو بشيء يسير في مجال الدعوة إلى الله ، ولا سيما أن هذا الموضوع حسب علمي لم ينل نصيبه من الدراسة ، ولم يجمع في كتاب مستقل ، يستطيع الدعاة أن يستفيدوا منه بيسر وسهولة ، ولا أدعي أنني سوف أحيط بجميع جوانب الموضوع وأعطيه حقه من البحث والتقصي ، لكن سيكون جهد المقل ، ومحاولة طالب يرغب في تقديم شيء يسير في مجال الدعوة.

٤) بيان أصالة أسلوب التدرج ، وأنه مستمد من الكتاب والسنة.

٥) أن دراسة هذا الأسلوب تبين للدعاة حكم استخدام أسلوب التدرج وضوابط ذلك الاستخدام ، لئلا يغالوا في إطلاق الحكم بجواز التدرج في كل شيء لمجرد الحرص على كسب أنصار جدد للدعوة ، وأيضاً لئلا يتهاونوا فيقصروا.

٦) انقسام الدعاة إلى فئات حول أسلوب التدرج ، إذ تعددت فيه الآراء ، وتباينت الاتجاهات حوله ، ولعلي بمحاولة تسليط الضوء عليه أستطيع أن أوضح أموراً ذات بال.

١) أن استخدام أسلوب التدرج من الأسباب الرئيسة لنجاح الدعوة الإسلامية ، وينبغي للدعاة استثماره في الصحوة الإسلامية المباركة ، التي يمر بها العالم الإسلامي والعربي ، في ضوء الكتاب والسنة ، خاصة وأن أعداء الإسلام استفادوا من هذا الأسلوب في التخطيط للقضاء على الإسلام وأهله.

مشكلة البحث :

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية ، بعد التعريف بعنوانه:

١) ما حكم أسلوب التدرج ؟ وما موقف الدعاة منه؟.

٢) ما مظاهر أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن والسنة؟.

٣) ما أهم أسس أسلوب التدرج ؟.

٤) هل هناك ضوابط لاستخدام أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله؟.

٥) ما أثر أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله؟.

حدود البحث :

١) بالنسبة لمظاهر أسلوب التدرج في دعوة النبي ﷺ سأراعي فيها التسلسل الزمني في ضوء ما كتبته كتب السيرة النبوية.

٢) لن أستقصي جميع الموضوعات التي تثبت أسلوب التدرج سواء من الكتاب أو السنة ، وإنما سأكتفي بذكر نماذج منها ، خوف الإطالة وضيق الوقت المحدد لتقديم البحث .

٣) بالنسبة للأمثلة حول موضوع ما سأكتفي بذكر مثال أو مثالين على الأقل.

منهج البحث :

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي والاستنباطي متبعاً الخطوات التالية:

١- جمع المعلومات من مصادرها الأصلية وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة الرسول ﷺ مع الاستعانة بعد الله بالمصادر الأخرى التي لها علاقة بالموضوع.

٢- تصنيف المعلومات المتشابهة مع بعضها بعد جمعها ، ومن ثم القيام باستنباط أساليب التدرج الدعوية فيها ، ثم انتقاء ما يفي بموضوع البحث ثم تنظيمها وتنسيقها وكتابتها بشكل نهائي حسب موضوعات البحث.

٣- توثيق جميع المعلومات التي جمعتها من خلال الحواشي حسب قواعد البحث العلمي.

٤- عزو الآيات إلى سورها ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية مع ذكر اسم المصدر ومؤلفه والجزء الذي ورد فيه الحديث مع بيان الباب الذي ينضوي تحته الحديث ورقم الحديث والصفحة.

٦- فيما يتعلق بالمعلومات التاريخية سيستعين الباحث بالمنهج التاريخي.

الدراسات السابقة:

لقد بذل الباحث قصارى جهده سؤالا وبحثاً في المكتبات الخاصة والعامة في المدينة المنورة ، عله يجد دراسات سابقة تُناولت موضوع (**التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة إلى الله**) بشكل مباشر ، سواء كان ذلك في كتاب مستقل أو في بحث علمي متخصص ، ولكنه لم يجد حتى دراسة واحدة تناولت الموضوع بالشكل التفصيلي الذي يرغب الباحث في بيانه ، كما هو موضح في خطته التالية ، اللهم إلا ما كان من الدكتور يوسف بن محي الدين أبو هلاله ، فقد أفرده ببحث مستقل تحت عنوان (التدرج بين التشريع والدعوة) أراد المؤلف أن يجيب من خلاله عن الأسئلة التالية ، وهي :

١- ما هو التدرج ؟ وكيف كان التدرج في التشريع ؟ ثم كيف كان في الدعوة؟.

٢- هل يجوز لنا أن نتدرج مع الناس في الأحكام بعد استقرارها أم نجعل عدم التدرج عائقاً يحول دون قبول الدعوة؟.

وعلى كل ، فإن المؤلف من خلال إجابته عن الأسئلة المذكورة تحدث عن معنى التدرج في اللغة والاصطلاح ، ثم أبان أن التدرج في العقيدة والأخلاق الأساسية للمجتمع غير جائز ، ثم بين أنواع التدرج في التشريع ، وضرب أمثلة على التدرج في التحريم إبان نزول القرآن الكريم ، ثم تحدث عن موضوع تضخيم الدعوة على حساب التشريع ، وذكر أن رأيه في هذا الموضوع هو «أن التدرج في الأحكام بعد استقرارها لا يجوز ، وإنما التدرج مع الناس يكون في الدعوة إلى الله سبحانه وأن أسلوب

التدرج في الدعوة ينبغي إن ينتظم خطة مدروسة ذات محورين متكاملين هما:

- التدرج بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع ، فيبدأ بالأهم يقنع الناس به ويحملهم على قبوله ، فإذا ما استقر في القلوب ، واستجابت له النفوس ، انتقل إلى ما دون ذلك من أمور ، متأسياً برسول الله ﷺ.
- التدرج في استبدال الصورة الواحدة بالإنتقال من الأدنى إلى الأعلى ويشمل ذلك تدرج المسلم مع نفسه ، وكذلك تدرجه مع غيره.

ثم قال : وخلاصة القول : إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ليست شيئاً من غير تشريع ، كما أن التشريع لا يكمل فهمه من غير دعوة ، وأنه لا داعي لإطلاق الحكم بجواز التدرج في كل شيء ، لمجرد الحرص على كسب أنصار جدد للدعوة".

وهذا البحث الذي أمكن الحصول عليه ، وإن اشترك مع بحثي في جزئية منه ، إلا أنه لم يكن شاملا للنقاط التي وردت في موضوعات البحث والتي يرغب الباحث في تناولها ، ومع هذا فإن الباحث قد استفاد منه فكرياً بعد قراءته والاطلاع على ما به من أفكار ، إلا أنه لن يتخذه مرجعاً يستند اليه في استقاء المعلومات ، خاصة إذا كانت تلك المعلومات توجد في مراجع ومصادر أصلية ، فإن الباحث سيعمد الى استقائها من مراجعها ومصادرها الأصلية.

هذا ما يتعلق بالدراسة المباشرة ، أما ما يتعلق بالدراسات غير المباشرة المبثوثة بين ثنايا الكتب ، قديمها وحديثها ، والتي تحدثت عن موضوع التدرج في التشريع ، أو الدعوة بشكل عام ، من غير تفصيل ، فهي كثيرة جداً ، يصعب حصرها ، فجميع الكتب - غالباً - التي ألفت في مباحث

علوم القرآن ، والتشريع ، تحدثت عن موضوع التدرج في التشريع ، تحت الحكمة من نزول القرآن منجماً ، في حدود صفحة أو صفحتين ، أو عشرة صفحات ، إن أسهب في ذلك.

كما أن بعض كتب الدعوة وبحوثها ، قد أشارت إلى موضوع التدرج في الدعوة ، لكنه ليس بالشكل التفصيلي الذي يود الباحث أن يبرزه من خلال بحثه.

لهذا ، فإن البحث يعد من وجهة نظر الباحث بحثاً جديداً يستحق الدراسة والبحث ، حسب الخطة التالية ، والله الموفق.

موضوعات البحث :

١- **المقدمة ، وتشمل :**

- أهمية الموضوع وسبب اختياره .
- تحديد مشكلة البحث .
- حدود الدراسة .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .
- محتويات البحث .

٢- **التمهيد ، ويشمل :**

- التعريف بمصطلحات عنوان البحث ، وهي :
  - ☐ التدرج.
  - ☐ الأسلوب .

- الأثر .
- الدعوة.
  - حكم التدرج وآراء العلماء فيه .

الفصل الأول :

مظاهر التدرج في ضوء القرآن والسنة :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

التدرج في دعوة بعض الرسل عليهم السلام ، وأثره في الدعوة.

- في دعوة نوح عليه السلام .
- في دعوة هود عليه السلام .
- في دعوة صالح عليه السلام.
- في دعوة إبراهيم عليه السلام.
- في دعوة شعيب عليه السلام .

المبحث الثاني :

التدرج في دعوة النبي ﷺ وأثره في الدعوة .

ويشمل :

- الاتصالات الشخصية للرسول ﷺ ومن تبعه من الصحابة.
- الاجتماعات السرية لتعلم القرآن وفقهه وتطبيقه.
- البدء بدعوة الأقربين.
- إعلان الدعوة في تجمع عام.
- استمرارية إعلان الدعوة في النوادي وفي التجمعات ، وحتى في

البيوت.

- نشر الدعوة بأسلوب الهجرات ، وذهابه إلى الطائف ، وعرض نفسه على القبائل.
- الانتقال بالدعوة إلى المدينة.
- أسلوب تكوين المجتمع الإيماني عن طريق المؤاخاة ، وبناء المسجد ، وعقد المعاهدة.
- أسلوب الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الدعوة.
- نشر الدعوة عن طريق إرسال الرسل و المكاتبات.

المبحث الثالث :

التدرج في الخطاب وفي التربية:

- في مخاطبة المؤمنين.
- في مخاطبة أهل الكتاب.
- في مخاطبة المشركين.
- في التربية.

الفصل الثاني:

أهم أسس التـــــدرج وضوابطه :

المبحث الأول :

أهم أسس التدرج

- تقديم الأهم على المهم .
- التدرج من المحسوس إلى المعقول .
- التدرج من الكليات إلى الجزئيات .

- التدرج من المبهم إلى الواضح.

المبحث الثاني :

أهم ضوابط أسلوب التدرج:

الفصل الثالث :

أثر التدرج في الدعوة إلى الله :

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : ترسيخ الدعوة في النفوس .

المبحث الثاني : التيسير على المدعوين وتحين الفرص لاستمالتهم.

المبحث الثالث : ضمان نجاح الدعوة ونشرها .

المبحث الرابع : مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم.

المبحث الخامس : أثر التدرج في الخطاب والتربية.

٣- الخاتمة .

٤- فهرس المصادر.

٥- فهرس الموضوعات.

❀ ❀ ❀

❀ ❀

❀

التمهيـــــد

ويشمـــل :

أ - التعريف بمصطلحات عنوان البحث ، وهي :

١- التدرج.
٢- الأسلوب .
٣- الأثر .
٤- الدعوة.

ب - حكم التدرج وآراء العلماء فيه .

أولا : التدرج :

١- في اللغة :

التدرج في اللغة مأخوذ من درج من باب دخل ، فقد جاء في مختار الصحاح "درج من باب دخل ودرجه إلى كذا تدريجاً واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج فتدرج"(١).

وجاء في المعجم الوسيط [درج درجاً ودروجاً ودرجاناً : مشى مشية الصاعد في الدرج وتدرج تقدم شيئاً فشيئاً وفيه تصعد درجة درجة ، واستدرجه رقاه من درجة إلى درجة"(٢).

أما لسان العرب المحيط ، فقد جاء فيه "درجه إلى كذا ، واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج(٣).

وفي التنزيل ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾(٤) ، قال بعضهم : سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم(٥).

ويقال : درجت العليل تدريجاً إذا أطعمته شيئاً قليلا وذلك إذا نقه حتى يتدرج إلى غاية أكله كما كان قبل العلة درجة درجة. ويقال : هذا الأمر مدرجة لهذا الأمر ، أي متوصل به إليه(٦).

---

١) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، باب الدال ص ٨٥.

٢) المعجم الوسيط لابراهيم أنيس ورفاقه ج١ باب الدال ص ٢٧٧.

٣) لسان العرب المحيط لابن منظور ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط ، المجلد الثاني ، باب الدال ص ٩٦٣.

٤) سورة القلم ، آية ٤٤.

٥) انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، ١٠١/٢٩.

٦) لسان العرب المحيط لابن منظور ، المجلد الثاني ، باب الدال ص ٩٦٣.

٢- في الاصطلاح :

١- الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة للبلوغ إلى الغاية المنشودة بطرق مشروعة مخصوصة(١).

٢- البدء بالأمور السهلة ثم الانتقال إلى غيرها شيئاً فشيئاً حتى يعتاد المدعو التكاليف ويرغبها ولا ينفر منها(٢).

وبناء على ما سبق يمكن تعريف التدرج بأنه : البدء بتقديم الأمور المهمة في الدعوة إلى الله ثم الانتقال إلى غيرها شيئاً فشيئاً ، بغية الوصول إلى الغاية المنشودة بطرق مشروعة مخصوصة ، حتى يعتاد المدعو التكاليف ويرغبها ولا ينفر منها.

---

١) التدرج بين التشريع والدعوة ، د/ يوسف محي الدين أبو هلاله ص ٧.

٢) الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها ، أ د/ عبدالخالق ابراهيم ، ص ٢١٨.

ثانياً : الأسلوب :

١- في اللغة :

الأسلوب في اللغة : يطلق على الطريق والفن والوجه والمذهب ، ويجمع على أساليب ، يقال : سلكت أسلوب فلان في كذا ، أي طريقته ومذهبه وطريقة الكاتب في كتابته ، ويقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه(١).

٢- في الاصطلاح : له عدة تعريفات ، منها :

أ/ أنه كلمات مناسبة في مواضع مناسبة.

ب/ هو الفن البياني الذي غايته قوة الأداء مع الصحة وسمو التعبير ، مع الدقة وإبداع الصورة وجمالها(٢).

ج/ هو كل قول أو فعل قصد به التوضيح والبيان ، ولفت النظر بقصد تعليم الغير أو دعوته لتنفيذ ما اشتمل عليه القول أو تضمنه الفعل..(٣).

هذا ما يتعلق بتعريف الأسلوب في الاصطلاح ، أما أساليب الدعوة فلها أيضاً عدة تعريفات منها :

١- هي مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار الدعوية التي

---

١) انظر المعجم الوسيط ٤٤٠/١ مرجع سابق ، لسان العرب المحيط مرجع سابق ١٧٨/١ ، محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ص ٤١٩. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٥.

٢) المنهج العاطفي في الدعوة ، لفهد بن عوض بن شجاع المغذوي بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشور ١٤١٠هـ ص ٦٨-٦٩ نقلا من مجلة : هذه سبيلي ، المعهد العالي للدعوة الاسلامية ، الرياض ، العدد الرابع ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٣٠.

٣) الدعوة إلى الله في سورة الروم لعبدالحميد زين الدين ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤١٠هـ ص ٢٣٦.

يتبعها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس(١).

٢- وهي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه(٢).

٣- وهي ما بلغت بها أوامر الله تعالى ، وإرشاداته إلى المدعوين ، وهو لا يخرج عما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة..(٣)٤- وهي الأقوال والأفعال التي يستعملها الدعاة لتوضيح دعوة الإسلام وبيان أحكام الدين وتعاليمه ، مع لفت أنظار الناس إليه ، ودعوتهم لتنفيذ ما اشتمل عليه من القول وما دل عليه الفعل(٤) ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾(٥).

---

١) أسس في الدعوة ووسائل نشرها ، د. عبدالقادر أبو فارس ص ٨٠.

٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن علي القحطاني ، ص ١٢٥.

٣) المنهج العاطفي في الدعوة ، لفهد بن عوض بن شجاع المغذوي ، ص ٢٣٠ ، نقلا من مجلة هذه سبيلي ، مرجع سابق.

٤) الدعوة إلى الله في سورة الروم ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦.

٥) سورة فصلت ، آية : ٣٣.

ثالثاً : الأثر

١- في اللغة :

الأثر في اللغة : بقية الشيء وحصول ما يدل على وجوده ، وقيل ما بقي من رسم الشيء ، ويطلق على الخبر ، والإثارة ، البقية من العلم تروى وتذكر..

وزاد الراغب الأصفهاني : أن يقال للطريق المستدل به على من تقدم آثاره(١) ، نحو قوله تعالى : ﴿فهم على آثارهم يُهْرَعُون﴾(٢).

وعلى كل ، فالأثر في اللغة : جمعه آثار ، ويطلق على ثلاثة معان هي :

١- النتيجة ، وهو الحاصل من الشيء.

٢- العلامة.

٣- الخبر(٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾(٤).

وأعني بالأثر هنا : النتيجة.

٢- في الاصطلاح :

وعلى هذا يمكن تعريفه في الاصطلاح بأنه : النتيجة التي يتركها أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، تجاه المدعوين".

---

١) انظر لسان العرب المحيط مرجع سابق ١٩/١ ، التعريفات للجرجاني ٩ ، القاموس المحيط مرجع سابق ، ٤٣٥ ، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٦٢ ، محيط المحيط مرجع سابق ، ص ٣ ، المعجم الوسيط مرجع سابق ص ٥/١.

٢) سورة الصافات ، الآية : ٧٠.

٣) انظر لسان العرب المحيط ١٩/١ ، التعريفات للجرجاني ٩ ، القاموس المحيط ٤٣٥ ، المفردات للراغب ٦٢ ، محيط المحيط ٣ ، المعجم الوسيط ٥/١.

٤) سورة يس ، الآية : ١٢. جزء منها.

رابعاً : الدعوة

١- في اللغة :

الدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، ودعا الرجل دَعْواً ودُعاء ، ناداه ، والاسم الدعوة ، ودعوت فلاناً : أي صحت به واستدعيته ، والدَّعوة ، والدِّعوة ، والمَدعاة ، والمِدعاة : ما دعوت إليه من طعام وشراب..

والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ، ورجل داعية : إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة..

والنبي داعي الله ، وكذلك المؤذن ، وأكثر كلام العرب أن الدِّعوة بالكسر في النسب وكذا الدَّعوى.

وداعية اللبن : ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده ، ودعوت الله أدعوه دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير.

ودعوت ابني زيداً ، أي سميته.. ودعوته : إذا سألته ، وتداعوا عليه تجمعوا ، ودعاه : ساقه ، وادعى كذا ، أي زعم ، والدعوة تطلق أيضاً على الحلف.

والدعوة : إدعاء الولد غير أبيه ، والدعوة : القرابة والإخاء . ودعا إلى الشيء : حث على قصده(١).

وجاء في معجم مقاييس اللغة : دعو الدال والعين والحرف المعتل ،

---

١) انظر لسان العرب المحيط ، مرجع سابق ٩٨٦/٢، ٩٨٧ ، والمعجم الوسيط مرجع سابق ، ٢٨٦/١، ٢٨٧ ، مختار الصحاح مرجع سابق ص ٢٠٥-٢٠٦ ، المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف احمد محمد المقري ٢٠٨/١ ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، مرجع سابق ص ١٦٩ ، ومحيط المحيط ٣٨٢ ، ٣٨٣. مرجع سابق.

أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك..

وتداعت الحيطان : إذا سقط واحد ، وآخر بعده ، فكأن الأول دعا الثاني ، ودواعي الدهر : صروفه ، لأنها تأتي متعاقبة ، وكأن الأول يدعو الثاني فيميله وهكذا..(١).

٢- الدعوة في الاصطلاح :

للدعوة في الاصطلاح تعريفات كثيرة ، لا يتسع المقام لبيانها ، حيث أن العلماء سلكوا في تعريفها مسالك متعددة ، ونظرات متفاوتة ، بغية الوصول إلى تعريف ضابط للدعوة.. ولهذا فإن الباحث سيكتفي بذكر بعضها وذلك كما يلي :

١- الدعوة إلى الله : هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا(٢).

٢- هي صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم.. وهي أيضاً : ندبة لانقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعوا فيها أو من مصيبة كادت تحدق بهم(٣).

٣- هي الإسلام من حيث المباديء والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبة(٤).

---

١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ٢/٢٧٩-٢٨٠.

٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٥/١٥٧.

٣) تاريخ الدعوة بين الامس واليوم ، آدم عبدالله الالوري ص ١٧.

٤) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية ، عبدالله محمد آل موسى ص ٢٧.

٤- هي تبليغ الاسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة(١).

٥- هي قيام المسلمين المؤهلين دولة وأمة وأفراداً ، بتبليغ الناس كافة ، وحثهم على اتباع الاسلام ، إيماناً وعملا ومنهاج حياة ، بطرق مشروعة ومخصوصة(٢).

٦- هي جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر(٣).. قال تعالى : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾(٤).

٧- هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولا وعملا وسلوكاً(٥).

٨- هي الدعوة إلى دين الإسلام بالانتساب إليه والحث عليه والنداء به والجهر بمبادئه ، والسؤال الدؤوب عنه ، وجمع الناس كافة للإلتفاف حوله والسير على طريقه القويم ، وهديه المستقيم(٦).

٩- هي تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص ، والإيمان النقي بكل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم ، وفي سنة رسوله ﷺ ، والعمل به في جميع شؤون الحياة ، دينية كانت أو سياسية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو غير ذلك..(٧).

---

١) المدخل إلى علم الدعوة ، د/ محمد أبو الفتح البيانوني ص ٤٠.

٢) الاحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ د/ يوسف محي الدين أبو هلاله ص ١٣.

٣) أسس الدعوة وآداب الدعاة ، د/ محمد السيد الوكيل ص ٩.

٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤.

٥) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، محمد بن سيدي الحبيب ص ٢٧.

٦) مرشد الدعاة ، للشيخ محمد نمر الخطيب ص ٢٣.

٧) الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها ، أ/د ، عبدالخالق ابراهيم مرجع سابق ، ص ١٠.

ب - حكم التدرج وآراء العلماء فيه :

إن الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، هما المصدران الأساسيان اللذان ينبغي الرجوع إليهما في معرفة الأحكام الشرعية ، ومن بينها حكم التدرج في الدعوة..

وقبل أن أبين حكم التدرج في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة سوف استعرض آراء بعض العلماء الذين كتبوا حول موضوع التدرج للإستئناس بها في معرفة الحكم..

١- يرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، بأن الدعاة أطباء المجتمع ومن شأنهم الاهتمام بمعرفة الأدواء أولا ، ثم العمل على علاجها ثانياً ، مع البدء بالأهم فالمهم ، وهذه طريقة أنصح الأطباء ، وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده ، سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. فإنه لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله ، فلم يزل عليه الصلاة والسلام منذ أن بعثه الله إلى أن مضى عليه عشر سنين وهو يدعو إلى التوحيد ، ويحذر الأمة من الشرك ، ثم أمر بالصلاة ، ثم بقية الشرائع..

وهكذا الدعاة بعده عليهم أن يسلكوا سبيله ، وأن يقتفوا أثره بادئين بالأهم فالمهم.. ولكن إذا كان المجتمع مسلماً ساغ للداعي أن يدعو للأهم وغيره بل يجب عليه ذلك حسب طاقته ، لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم ، وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ، ووسائله ، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع المسلم ، ويضعف إيمانه ، ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم إذا لم يتيسر الكلام في الأهم ، ولا مانع أيضاً

من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم ، إذا رأى المصلحة في ذلك ، وخاف إن هو اشتغل بهما جميعاً أن يخفق فيهما جميعاً..

وهكذا شأن المصلحين والأطباء المبرزين يهتمون بطرق الاصلاح ويسلكون أنجعها وأقربها إلى النتيجة المرضية..

ومن تأمل قواعد الشرع وسيرة الرسول ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين ، والأئمة الصالحين ، علم ما ذكرته ، وعرف كيف يقوم بإرشاد الناس وكيف ينتشلهم من أدوائهم ، إلى شاطيء السلامة(١).

٢- يرى فضيلة الدكتور عبدالله بن ضيف الله الرحيلي بأن النبي ﷺ كان يتطلب الإقناع الراسخ الثابت ، ولو جاء بطيئاً ويتحاشى الايمان المتقلب غير الثابت ، ولو جاء أول الأمر في طفرة عارمة ، مراعياً بذلك سنة التدرج الطبيعي(٢).

٣- تناول الدكتور أحمد عمر هاشم موضوع التدرج فكان مما قاله «تميزت الدعوة الإسلامية بأسلوب التدرج الذي يأخذ الإنسان تدريجياً إلى ما فيه الهدى والرشاد ، ولم تأخذ الدعوة في منهجها توجيه الناس دفعة واحدة بكل ما هو منهي عنه ، وبكل ما يتصل بالعقيدة ، والعبادات ، والأخلاق ، والعادات الاجتماعية ، ولكنها تدرجت في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، في كثير من المجالات.. وانتقلت بالناس بعد التركيز على جانب

---

١) من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة ، جمع زياد بن محمد السعدون ، ص ٧١-٧٣ ، بتصرف بسيط.

٢) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة ، منهجاً وأسلوباً أ. د/ عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ، ص ٩١ ، بتصرف بسيط.

العقيدة وتثبيتها ، إلى الجوانب الأخرى..

غير أن أمر الدعوة فيما يتصل بشأن العقيدة لم يكن يحتمل التدرج حتى فيما يتصل به من عادات أو تقاليد ، وذلك لأن التوحيد هو الأساس الذي سيقوم عليه بناء الجماعة ، ومنه ستنبثق العبادات ، وعلى أساسه يقبل العمل ، فكان لا بد من حسم قضية العقيدة من أول الأمر ، وتوضيح العقيدة الواحدة التي لا يختلف في شأنها ووضوحها إلا مكابر وضال..(١).

٤- تناول السيد قطب موضوع التدرج فقال : «لم يكن هناك تدرج ولا تطور في مفهوم العقيدة الأساسي الذي جاءت به الرسل كلها من عند الله وأن الذين يتحدثون عن تطور المعتقدات وتدرجها ويدمجون العقيدة الربانية في هذا التدرج والتطور ، يقولون غير ما يقوله الله سبحانه وتعالى ، فهذه العقيدة كما نرى في القرآن الكريم جاءت دائماً بحقيقة واحدة ، وحيكت العبارة عنها في ألفاظ بعينها(٢) **﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾**(٣).

وعلى أية حال ، فهذا قول الله سبحانه وهو أحق أن يتبع ، وبخاصة ممن يكتبون عن هذا الموضوع في صدد عرض العقيدة الإسلامية أو صدد الدفاع عنها ، أما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن ، فهم وما هم فيه(٤) والله **﴿يَقُصُّ الحقَّ وهو خير الفاصلين﴾**(٥).

---

١) الدعوة الإسلامية ، منهجها .. ومعالمها ، د/ أحمد عمر هاشم ، ص ١٧.

٢) في ظلال القرآن ، للسيد قطب ٢/١٣٠٤-١٣٠٥.

٣) سورة الاعراف ، آية رقم ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، وسورة هود : آية رقم ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، وسورة المؤمنون ، آية رقم : ٢٣.

٤) في ظلال القرآن ، ٢/١٣٠٤-١٣٠٥.

٥) سورة الأنعام ، الآية : ٥٧.

وتناول موضوع التدرج في موضع آخر بشيء من التفصيل فقال : «عندما يتعلق الأمر أو النهي بقاعدة من قواعد التصور الإيماني.. أي بمسألة اعتقادية ، فإن الاسلام يقضي فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى ، في ضربة جازمة ، لا تردد فيها ولا تلفت ، ولا مساومة ، ولا لقاء في منتصف الطريق ، لأن المسألة هنا مسألة قاعدة أساسية للتصور لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام..

ولكن عندما يتعلق الأمر أو النهي بعادة وتقليد أو بوضع اجتماعي معقد ، فإن الاسلام يتريث به ، ويأخذ المسألة باليسر والرفق ، والتدرج ، ويهيء الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ ، والطاعة ، كتحريم الخمر ، والميسر ، والرق ، وغير ذلك..(١).

٥- يرى الدكتور يوسف أبو هلاله أن التدرج في الأحكام بعد استقرارها لا يجوز وإنما التدرج مع الناس يكون في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن أسلوب التدرج في الدعوة ينبغي أن ينتظم في خطة ذات محورين متكاملين هما:

o التدرج بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع.

فيبدأ بالأهم يقنع الناس به ويحملهم على قبوله ، فإذا ما استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما دون ذلك من أمور تأسياً برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة في معالجة العقيدة وبعض العبادات ، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العلمي.. لأن انفكاك القرون عما ألفت وانتقالها إلى طور جديد من الوعي ، والسداد ، لن يتم دفعة واحدة ، ولن يكون بأمر مباشر ، يصدر لها في معظم الأحيان ، فلا بد أن يسبق مرحلة الانتقال إعداد ينشأ عنها العزم على ذلك الانتقال..

---

١) في ظلال القرآن للسيد قطب ، ٢٢٣/١ مرجع سابق ، وأيضاً الجزء الثاني ص ٩٧٣.

○ التدرج في استبدال الصورة الواحدة بالانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى حتى تبلغ التمام:

ثم قال : وخلاصة القول : أن الدعوة إلى الله تعالى ليست شيئاً من غير تشريع ، كما أن التشريع لا يكمل فهمه من غير دعوة ، وأنه لا داعي لإطلاق الحكم بجواز التدرج في كل شيء لمجرد الحرص على كسب أنصار جدد للدعوة(١).

ومما سبق عرضه من آراء لبعض العلماء ، يتضح أنه يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يتدرجوا مع المدعوين في الحدود التي تجيزها قواعد الشرع الإسلامي الحنيف ، وقدوتهم في ذلك إمام الدعاة وسيد المرسلين ، محمد بن عبدالله ﷺ.. فقد ظل عليه الصلاة والسلام ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ويحذر الأمة من الشرك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، لبناء العقيدة الصحيحة ، وتطهير النفوس من الاعتقادات المنحرفة ، مع الاهتمام المستمر بتصحيحها ، ذلك هو أسلوب القرآن الكريم في كل مراحل نزوله ، وهكذا بدأ كل رسول ونبي ، ثم جاءت التكاليف بعد ذلك(٢).

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة التالية ، قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ والدعاة من بعده : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن**

---

١) التدرج بين التشريع والدعوة ، د/ يوسف أبو هلالة مرجع سابق ، ص ٢٤،٢٥،٢٦،٣٠،٤٠. بتصرف بسيط.

٢) انظر منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ، جمعه أمين عبدالعزيز ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، والدعوة إلى الله ، فقهاً ومنهجاً ، محمد زكي الدين محمد قاسم ، ص ٨٨-٨٩.

سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(١).

إن هذه الآية الكريمة قد رسمت للرسول ﷺ وللدعاة من بعده أسلوب الدعوة إلى الله بخطوات مرتبة ، ترتيباً منطقياً ، مع طبيعة المدعوين ، ومدى تقبلهم للدعوة.

وكما يقول ابن القيم رحمه الله - المستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه ، يدعى بطريق الحكمة ، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر ، يدعى بالموعظة الحسنة ، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، والمعاند الجاحد ، يجادل بالتي هي أحسن..

إذاً فهذه الآية الكريمة قد بينت للرسول ﷺ وللدعاة من بعده أسلوب الدعوة ، متدرجة بهم من الأعم إلى الأخص ، وكلها مما تنطوي عليه معاني الحكمة.

فالحكمة هي جماع الأساليب الدعوية ، إذ الأمر بالموعظة كما قيل : إذا وعظت فتحين لذلك الوقت المناسب له ، ولا تكثر ، فإن كثرة النصح قد تولد الكراهية ، وذلك التحين والترقب والتلطف في الموعظة هو ما يمثل جانب الحكمة ، وهو ما جاء في الآية من وصف الموعظة بالحسنة..

كما أن وصف المجادلة بالحسنى دليل الحكمة أيضاً ، لاستمالة المجادل إلى منهج الحق وإرشاده بلطف إلى سواء الطريق ، لتزم الحجة من يجادل ويقوم عليه البرهان ، دون أن يتفاقم الموقف ، وتنقطع حبال الحوار الهادف ، فتفقد القلوب هدايتها(٢).

---

١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥.

٢) انظر : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة لابن القيم الجوزية ٧٨/١، ١٧١ ، والدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً.. مرجع سابق ص ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وخصائص الدعوة والدعاة ، عبدالرحمن أبو بكر رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٧هـ ص٤١٥، ٤٢١، ٤٢٢.

والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يجد أنه طبق أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأمر به أصحابه..

فما هو عليه الصلاة والسلام عندما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».. وفي رواية : أنك ستأتي.. الحديث(١).

ففي هذا الحديث يعلم الرسول ﷺ معاذاً رضي الله عنه كيفية الدعوة إلى الله تعالى ، ويأمره أن يتدرج في دعوته خطوة خطوة ، تخفيفاً على العقل في القبول ، وتوطئة للتنقل من مرحلة إلى المرحلة التي تليها عن طريق الرغبة والاشتياق ، لأن نفوس البشر تألف الاعوجاج والتمرد إذا بشرت بالاصلاح دفعة واحدة ، بل إنها تعتبر ذلك مصادمة لها..

لهذا فلا بد للداعية أن يعمل على تغيير النفوس شيئاً فشيئاً بأن يأخذها بالتلطف والتدرج والتعرف على مداخلها ، وهذه سنة الله في طريق دعوة الناس ليعدها لتقبل الأوضاع الجديدة ، ويهيء النفوس التائهة لتقبل الحق ، كما يهيأ الطفل للفطام بعد الرضاع ، فإن هو منع مرة واحدة أصابه ضرر بالغ قد يهلكه ، وإن هو أخذ بالتدريج نفعه ذلك ، وكان عوناً له على

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني الحديث رقم ٧٣٧٢ ، ٣٤٧/١٣ ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد.. وصحيح مسلم بشرح النووي ١٩٦/١-١٩٩ رقم الحديث ١٩ كتاب الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام واللفظ له

الاعتماد على نفسه ، وكذلك المريض في علاجه يحتاج إلى فترة تحتوي على جرعات ، يعطاها المريض حسب استعداده الجسمي والنفسي ، وكذلك المدعو ، يجب أن تراعى معه سنة التدرج الطبيعي في حدود قواعد الشرع الإسلامي ، لأن الأساليب إذا لم تكن مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها ، لا تعتبر.

فليس لأحد من الناس أن يغير شيئاً من أحكام الإسلام ومبادئه ، أو يتجاوز شيئاً من حدوده ، أو يستهين بها ، بإسم اتباع أسلوب التدرج في الدعوة(١). والله أعلم.

---

١) انظر الدعوة قواعد وأصول ، جمعه أمين عبدالعزيز ص ١٧٩-١٨٠. والدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها ، مرجع سابق ص ٢٣ ، والدعوة الفردية أهميتها ، حالاتها ، عوامل نجاحها ، صالح صواب ، ص ٢٨.. وفقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ١١٦.

الفصل الأول

[مظاهر التدرج في ضوء القرآن والسنة]

ويشتمل على ثلاثة مباحث

- المبحث الأول :

  التدرج في دعوة بعض الرسل عليهم السلام وأثره في الدعوة.

- المبحث الثاني :

  التدرج في دعوة النبي ﷺ وأثره في الدعوة.

- المبحث الثالث :

  التدرج في الخطاب والتربية.

ooo

المبحث الأول
[التدرج في دعوة بعض الرسل عليهم السلام]
[وأثره في الدعوة]

أولا : في دعوة نوح عليه السلام :

لقد برز التدرج في دعوة نوح عليه السلام بشكل جلي ، ويتضح ذلك فيما يلي :

١- بدأ نوح عليه السلام دعوته لقومه بأسلوب عاطفي ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهي ، مشيراً بذلك إلى أهميتها ، فقال مترفقاً بهم ومستميلا إياهم(١) ﴿.. يا قوم..﴾(٢).

وفي هذا النداء تظهر عين الحكمة واللين اللذين ينبغي أن يتصف بهما الدعاة إلى الله تعالى ، فإنه عليه السلام لم يشنع عليهم ، ولم يصفهم بقبيح فعلهم ، فلم يقل لهم يا عباد الأصنام ، ولا يا كفار ، وإنما بدأ عليه السلام دعوتهم بهذا التودد والتذكير بأواصر القرابة ، والنسب ، فهم

---

١) انظر : تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، مرجع سابق ٩٤/١٢ ، وروح المعاني للألوسي ٢٤١/١ ، ، ١٥٠/٨ ، ووظيفة الاخبار في سورة الانعام د/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ص ٣٠٠-٣٠١ ، والدعوة في موكب الأنبياء ، علي متولي علي ص ١٩ ، مدخل إلى الاعلام الاسلامي ، د/ سعيد اسماعيل صيني ، ص ٢٥١-٢٥٥.

٢) سورة الاعراف ، الآية : ٥٩ ، ويونس : آية ٧١ ، وهود : آية ٢٨ ، والمؤمنون آية : ٢٣ ، وسورة نوح ، آية : ٢.

قومه ، لم يتبرأ منهم في مرحلة الدعوة ، ولا من الانتساب إليهم. وافتتاح دعوته لقومه بالنداء ، طلباً لاقبال أذهانهم ، أما مناداتهم بصيغة أنهم قومه فذلك تمهيداً لقبول نصحه ، إذ لا يريد الرجل لقومه إلا ما يريد لنفسه..

فالرائد لا يكذب أهله ، ولا يغشهم ، بل يحبهم ، ويحرص عليهم ، ويخاف أن يمسهم عذاب أليم.

لهذا ، فقد بدأ نوح عليه السلام بهذا الأسلوب من منطلق الحنو والحرص على المدعوين ، لعل ذلك يستثير مشاعرهم ، ويحقق اطمئنانهم إليه ، فيتبعوا الهدى الذي يدعوهم إليه(١).

٢- بعد هذا النداء ، بدأهم بأسلوب الترهيب كما في سورة نوح(٢) وسورة هود في قوله تعالى : ﴿إنّي لكم نذير مبين﴾(٣) ، أي بين النذارة

---

١) انظر تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور مرجع سابق ١٨٨/٢٩ ، وقصص الانبياء لابن كثير ٧٦ ، ومن نبأ المرسلين د/ حسن عيسى عبدالظاهر ١١٦ ، روح المعاني للألوسي ٢٤١/١ ، ٢٥٠/٨ ، والدعوة إلى الله ، الرسالة ، الوسيلة ، الهدف ، د/ توفيق الواعي ، ص ٢٦٦ ، والمدخل إلى علم الدعوة ، د/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ص ٢٠٥. ومدخل إلى الاعلام الاسلامي ، مرجع سابق ص ٢٥١-٢٥٥ ، وظيفة الأخبار في سورة الانعام ، مرجع سابق ٣٠٠-٣٠١ ، ودعوة نوح عليه السلام ، ليحيى بن علي القحطاني ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤١٠هـ ص ٩١ ، ودعوة صالح عليه السلام ، لحسن عبدالله حسن آل الشيخ ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشور ١٤٠٣هـ ، ص ١٠٢ ، والكامل لابن الاثير ٦١/٢ ، والدعوة في موكب الانبياء لعلي متولي علي ص ١٩ ، مرجع سابق ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، احمد محمد عبيد ص ١٠٩.

٢) انظر الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، تأليف محمد سيدي بن الحبيب ص ٢٩٦.

٣) سورة نوح ، آية : ٢ ، وسورة هود ، آية : ٢٥.

ظاهرها ، وتصدير دعوتـــــه بحرف التوكيد لأن المخاطبين يترددون في الخبر(١).

٣- دعاهم بعد ذلك إلى ثلاثة أشياء ، كما في سورة نوح ، مستعملا أسلوب الطلب ، حيث طلب منهم عبادة الله وحده ، لا شريك له ، وتقوى الله وطاعة نبيه نوح عليه السلام ، وذلك في قوله ﴿**أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون**﴾(٢).. وفي سورة المؤمنون ﴿**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾(٣) ، وفي سورة هود نهاهم عن عبادة غير الله ، فقال : ﴿**ألا تعبدوا إلا الله..**﴾(٤).

وقد نوع نوح عليه السلام أسلوبه ، فأتى بثلاثة مطالب ، كل واحد منها له معنى ، وإن كان المعنى الأول شاملا لها ، وهو عبادة الله تعالى على الوجه المطلوب ، لكن نبي الله نوح عليه السلام غاير في الأسلوب ليبين لقومه ويوضح لهم ما ينبغي عليهم عمله ، ولئلا يترك طريقاً إلا وسلكه معهم ، فها هو في موضع آخر كما في سورة «المؤمنون» يتدرج معهم باتباع الخطوات التالية :

أ/ دعوتهم لعبادة الله وحده مستعملا أسلوب الطلب الصريح ، وذلك في قوله ﴿اعبدوا الله﴾.

---

١) تفسير التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ١٨٨/٢٩.

٢) سورة نوح ، آية : ٣.

٣) سورة المؤمنون آية : ٢٣.

٤) سورة هود آية ٢٦.

ب/ إخبارهم بعدم وجود إله لهم غير الله ، وذلك ادعى لعبادته ، قال تعالى ﴿ما لكم من إله غيره﴾ وهو حكم قاطع وصريح لا لبس فيه ولا غموض.. بنفي الألوهية عن غير الله سبحانه وتعالى ، لاختصاصه جل شأنه وحده بالعبادة.

ج/ حثهم على تقوى الله في صورة استفهام كما في قوله ﴿أفلا تتقون﴾ وهي بيان للداعي إلى عبادته ، لأنه هو الذي يجب أن يتقى غضبه ، دون ما كانوا يعبدون من دونه.. والمراد به حثهم واستنهاضهم وتخويفهم ليتقوا الله(١).

٤- أخذ عليه السلام في شكل آخر من أشكال الأسلوب العاطفي وهو الترغيب فقال(٢) : **﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾**(٣).

٥- ثم عدل عليه السلام عن الترغيب إلى الترهيب لئلا تبقى ناحية إلا أقام عليهم الحجة منها فقال : **﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾**(٤).

٦- إن المتأمل في قوله تعالى : **﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ○ فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ○ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً**

---

١) انظر تفسير الفخر الرازي ١٣٤/٣٠ ، ومن نبأ المرسلين ، مرجع سابق ١٢٧ ، ١٣٣ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٢٩٦-٢٩٧ ، ونوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، لعبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٠-٢٥١.

٢) انظر الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٢٩٧.

٣) سورة نوح ، الآية : ٤.

٤) سورة نوح ، الآية : ٤.

﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ○ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ﴾(١).
يتضح له بجلاء لا لبس فيه الأسلوب الحكيم الذي اتبعه نوح عليه السلام في إرشاد قومه وتبصيرهم بطريق الحق والهداية ، حيث تدرج في دعوته لهم بما يلي:

أ/ دعاهم في الليل وفي النهار ، فقابلوا دعوته بأربعة أشياء وهي أنهم وضعوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، واصروا على الكفر والعناد ، واستكبروا عن طاعة الله واتباع رسوله نوح عليه السلام..

ب/ ثم دعاهم في السر.

ج/ ولما لم تجد مناصحتهم في السر ، ثنى بالمجاهرة فدعاهم جهاراً..

د/ ثم انتقل إلى الجمع بين الإعلان والإسرار لما لم يؤثر فيهم جميع ما سبق.

هذه أساليب دعوته لقومه التي تتضح من بعض آيات القرآن الكريم ، حيث أن كلمة ثم تدل على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض ، إما بحسب الزمان وإما بحسب الرتبة ، لأن الجهار أغلظ من الإسرار ، والجمع بين الإسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده(٢).

---

١) سورة نوح ، الآية : ٥-٩.

٢) انظر تفسير الفخر الرازي ٣٠/١٣٦-١٣٧ ، وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، د/ محمد الطيب النجار ص ٦٤ ، ونوح عليه السلام في القرآن المجيد ، مرجع سابق ص ١٧٩-١٨٤ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٢٩٧-٢٩٨.

٧- بعد أن نادى نوح قومه وطلب منهم عبادة الله ورغبهم فيها وحذرهم من عبادة غيره ، أخذ يشرح لهم الدعوة ، ويبين الحجة ، ويربطهم بواقعهم عن طريق استخدام الأسلوب العقلي والحسي ، لتقريب الدعوة إلى أذهانهم(١) ، ويتضح ذلك من قوله لهم : ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ○ يرسل السماء عليكم مدراراً ○ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ○ مالكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً ○ ألم ترو كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ○ وجعل القمر فيهن نوراً ○ وجعل الشمس سراجاً ○ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ○ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ○ والله جعل لكم الأرض بساطاً ○ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً**﴾(٢).

من تأمل هذه الآيات الكريمة ، يتضح له أن نوحاً عليه السلام بعد أن بين لقومه مباديء الإيمان وأركان الإسلام ، وقواعد الدين الكبرى ، وأصروا على عدم الإيمان ، وصاروا على علم بمضمون الدعوة ، انتقل إلى بيان ما يجب عليهم من الإقلاع عن الذنوب ، التي هم غارقون فيها من الكفر إلى ما دون ذلك من فسوق وعصيان..

فرغبهم في الإيمان بنيل مغفرة الله ، وبإنزال المطر عليهم ، وبإعطاء

---

١) انظر : التفسير الواضح ، د/ محمد محمود حجازي ١٠٦/٢٩-١٠٧ ، ودعوة صالح ، مرجع سابق ص ٩٧ .

٢) سورة نوح ، الآية : ١٠-٢٠.

الله لهم الأموال والأولاد ، وأن يجعل لهم الحدائق الفسيحة ذات الأشجار المثمرة ، والأنهار الجارية من خلالها..

ثم استنكر عليهم بالاستفهام الإنكاري التعجبي في قوله ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ أي شيء حصل لعقولكم وأفكاركم ومداركم وقلوبكم ونفوسكم فأفسدها وصرفها عن ترقب وعد الله العظيم الذي يرغب فيه ويطمع العقلاء أولوا الألباب وصرفها أيضا عن ترقب وعيد الله العظيم الذي يجب أن يخشاه ويخافه كل عاقل ، أغشي على مداركم فصرتم لا تدركون دلائل آيات الله المشهودة ، والمسموعة ، فلا تخافون عقاب الله ، ولا تطمعون في ثوابه يوم الدين ، وهما من آثار عظمته وجلاله.

ثم أخذ بلفت أنظارهم إلى هذا الكون بعد أن نبههم إلى ما في أنفسهم من آيات ، مستخدماً الأسلوبين : الحسي ، والعقلي معاً ، ثم عاد فلفت أنظارهم إلى أنفسهم في قوله : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ ، ثم يعيدكم إلى الأرض أمواتاً ﴿ثم يخرجكم منها إخراجا﴾.

ثم انتقل مرة أخرى إلى لفت أنظارهم الى الأرض التي أقلتهم فقال : ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾ ، أي : صالحة للعيش ، ميسَّرة للانتقال لتسلكوا منها طرقاً واسعة ، توصلكم إلى أغراضكم(١).

---

١) انظر : نوح عليه السلام في القرآن المجيد مرجع سابق ص ١٨٤-٢٠١ ، والتفسير الواضح مرجع سابق ج ٢٩ ص ١٠٦-١٠٧ ، ودعوة أنبياء الله ورسله من آدم إلى عيسى عليهم السلام أ. د / عبدالخالق ابراهيم ص ٥٢-٥٣ ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، د/ مصلح سيد بيومي ص ٢١٠-٢١١ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ، مرجع سابق ص ٢٩٩. ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الاسلام ، حمود أحمد الرحيلي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٦هـ ص ١١٠-١١٣ ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، احمد محمد عبيد ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٣هـ ص ١٢٠.

وهكذا تدرج نوح عليه السلام في دعوته لقومه ، وانتقل معهم من أسلوب لآخر ، من أجل الوصول بهم إلى شاطيء النجاة سراً وجهراً ، وترغيباً ، وترهيباً ، ووعداً ، ووعيداً ، واحتجاجاً ، واستدلالا بالأدلة العقلية والحسية ، من واقع أنفسهم وحياتهم ، ومما فوقهم ، وتحتهم من السماء والأرض وما فيها من آيات وعبر..

ولكن هذه الطرق والوسائل والأساليب التي استخدمها نوح عليه السلام مع قومه لم تجد نفعاً ولم تدفعهم إلى الاستجابة لدعوته ، بل أصروا على كفرهم وضلالهم ، فكانت النتيجة أن لجأ نوح عليه السلام إلى ربه داعياً عليهم بالهلاك ، فأهلك الله الكافرين ، ونجا نبيه نوحاً ومن معه من المؤمنين.

ولا شك أن لهذا التدرج آثار عظيمة في الدعوة إلى الله تعالى منها:

١- أن استخدام هذا التدرج أدعى لاستجابة من أراد الله هدايته.

٢- في استخدام هذا التدرج مراعاة لقدرات المدعوين وهذا عامل كبير لقبول الدعوة.

٣- استيعاب المدعوين للدعوة وفهمهم لها لأن الداعية تدرج معهم شيئاً فشيئاً.

٤- أسلوب التدرج فرصة لمعالجة نفوس القوم المريضة ، وقلوبهم المغلقة.. والمتمثلة في أولئك المعرضين عن الدعوة ، إذ يفسح أمامهم المجال ليتدبروا ويتفكروا فيما هم فيه من بعد عن خالقهم سبحانه وتعالى ، وجحود ، وهو الذي أكرمهم وفضلهم على غيرهم من المخلوقات ، بأن وهبهم هذا العقل ليفكروا فيه ، في حقيقة وجودهم ، واستخلافهم في هذه الأرض

، وما أنعم الله عليهم من نعمة الخلق و الرزق.

٥- التمسك بالمبدأ و الالتزام به لهذا فقد ثبت من آمن على الحق لأنه قد استوعب الدعوة و أيقن بصدقها.

٦- الحلم بالمدعوين و الرد عليهم برفق ولين.

٧- التدرج مع المدعوين في المناقشة تبعاً لأحوالهم و استخدام الدليل المناسب.

٨- الصبر على الشدائد و العقبات في نشر الدعوة وعدم اليأس.

٩- اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى وحسن الصلة.

١٠- الإخلاص الكامل و الوضوح التام في الدعوة إلى الله وتلوين الخطاب وتنوع الأساليب تبعاً لما يقتضيه الموقف الدعوي(١).

ثانياً : التدرج في دعوة هود عليه السلام

قال تعالى : ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ○ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنَّا لنراك في سفاهة وإنَّا لنظنك من الكاذبين ○ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ○ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ○ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ**

---

١) انظر : ادع الى سبيل ربك ، مرجع سابق ص ٢١١-٢١٢ ، ودعوة الرسل ، محمد أحمد العدوي ص ١٧ ، وتاريخ الأنبياء ، مرجع سابق ص ٦٤-٦٥ ، ومنهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل د/ ربيع بن هادي المدخلي ، ص ٣٣. والدعوة إلى الله في سورة العنكبوت لعبيد بن عبدالعزيز بن عبيد السلمي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٤١٠هـ ص ٣٥٠.

جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ○ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ○ قال قد وقع عليكم رجس من ربكم وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نَزَّلَ الله بها من سلطان فانتظروا إنِّي معكم من المنتظرين ○ فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾(١).

بتأمل الآيات الكريمة السابقة ، يبرز التدرج الذي استخدمه هود عليه السلام مع قومه واضحاً جلياً من خلال النقاط التالية :

١- بدأ هود عليه السلام دعوة قومه كبداية نوح عليه السلام ، بالأسلوب العاطفي عله يستثير مشاعرهم ، ويحقق اطمئنانهم إليه ، فيتبعوا الهدى الذي يدعوهم إليه ، فقال مترفقاً بهم ومستميلا إياهم ﴿يا قوم﴾..

٢- طلب منهم عبادة الله وحده مستعملا أسلوب الطلب وذلك في قوله ﴿اعبدوا الله﴾.

٣- أخبرهم بعدم وجود إله لهم غير الله وذلك يستوجب عبادته ، قال تعالى ﴿ما لكم من إله غيره﴾.

٤- حثهم على تقوى الله في صورة استفهام كما في قوله ﴿أفلا تتقون﴾.

تم التفصيل في هذه الفقرات السابقة في دعوة نوح ، ولا داعي للاعادة.

---

١) الأعراف ، الآية : ٦٥-٧٢.

٥- نفى عن نفسه ما رموه به من الضلالة والسفاهة بأسلوب مهذب حكيم فلم يقابل سفاهتهم بالسفاهة ، بل قابلها بالحلم والإغضاء ، ولم يزد على قوله(١) ﴿ليس بي سفاهة﴾ ، وذلك يدل على :

○ أن ترك الانتقام أولى كما قال تعالى ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾(٢).

○ يجب أن يتحلى الدعاة بالحلم والتغاضي عما ينالهم من الأذى في سبيل دعوتهم إلى الله ، وذلك اقتداء بأئمة الدعاة رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه.(٣).

٦- استخدم الأسلوب العقلي في دعوته لقومه ، بعد أن تبين له أن الأسلوب العاطفي لم يجد معهم ، وذلك حتى يتمكن من لفت أنظارهم إلى النعم التي أسبغها الله عليهم ، والتي لو قدروها حق قدرها لاهتدوا إلى الحق الذي يدعوهم إليه.

---

١) انظر : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ٣/١٣١١ ، وفتح القدير للشوكاني ٢/٢١٦-٢١٨ ، ونوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، مرجع سابق ص ٤٦ ، ومن نبأ المرسلين ، مرجع سابق ص ١٤١ ، والأنبياء في القرآن ، سعد صادق محمد ص ٨٤ ، ومناهج الجدل في القرآن الكريم د/ زاهر عواض الالمعي ص ١٦٨ ، ودعوة الرسل ، للعدوي ، مرجع سابق ص ١٩ ، والقصة القرآنية هداية وبيان ، د/ وهبه الزحيلي ص ٥٢ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٣١٠-٣١٥.

٢) الفرقان ، آية : ٧٢.

٣) من نبأ المرسلين ، مرجع سابق ص ١١٩.

ويتضح استخدامه للأسلوب العقلي من خلال ما دار بينه وبين قومه من حوار وجدال ، فهؤلاء قومه يرمونه بتهم باطلة ، هي السفه ، والكذب ، فيأتيهم الرد بأسلوب حكيم ، كله عفو وتسامح ومنطق مهذب ، إذ لم يزد عليه السلام بأن نفى عن نفسه هذه التهمة الباطلة في غاية اللين والتلطف والحكمة ، فقال : ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ ، ولم يرد على سفههم بالسب والشتم والتوبيخ ، وفي هذا درس للدعاة ينبغي أن يعوه ويعملوا به لأنه أدعى لاستجابة المدعوين لقبول الحق.

ثم إنه عليه السلام بعد أن نفى عن نفسه السفه الذي اتهموه به أثبت رسالة ربه له حيث قال : ﴿ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ ، وهذا جواب في غاية الروعة ، وحسن الخلق ، في إسداء النصيحة الخالصة من الشوائب(١).

ثم بين لهم أنه لا وجه للاستغراب والتعجب من تكليف الله لرجل منهم بمهمة إبلاغ الرسالة ، لأن الله يختص برحمته من يشاء من عباده ، وليس بدعاً من الرسل ، فقد جاء قبله نوح عليه السلام ، وهم يعلمون ذلك ، ولهذا قال لهم : ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم..﴾.

ثم ذكرهم بنعم الله تعالى عليهم ، لعلها تحدث لهم ذكراً في نفوسهم

---

١) انظر : دعوة هود عليه السلام ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، ١٤٠٣هـ غير منشور لعبدالقادر جيلاني آي ، ص ٣٩-٤١ ، وفتح القدير للشوكاني ، مرجع سابق ٢/٢١٦-٢١٨ ، وفي ظلال القرآن ، مرجع سابق ٣/١٣٠٩، ١٣١١ ، ودعوة الرسل للعدوي ، مرجع سابق ص ١٩ ، ومناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٦٨ ، وتاريخ الأنبياء للنجار مرجع سابق ، ص ٧٩ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، مرجع سابق ص ١٠٢-١٠٣.

فيتراجعوا عن عنادهم وإصرارهم ، على عدم الايمان فقال : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ ، أي بعد أن أهلكهم بالطوفان لاصرارهم على الشرك.

ثم ذكرهم بالنعمة الحاضرة التي منحهم الله إياها مستخدماً الأسلوب الحسي ، وذلك في قوله : ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ ، وقوله لهم في سورة الشعراء : ﴿**أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ○ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ○ فاتقوا الله وأطيعون ○ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ○ أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ○ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾(١).. ولكنهم بدافع التقليد ، والتعصب ، تعلقوا وتمسكوا بعقيدة آبائهم الضالين.. والمتعصب يعمى عن الحق ، ويصم عن سماعه ، ولهذا قالوا : ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾..

وقد أنكر عليهم هود عليه السلام مسلكهم المعوج ، وعنادهم المستحكم ، وجدالهم بالباطل فقال : ﴿قد وقع عليكم رجس من ربكم وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾..

وقد تضمن رد هود عليه السلام ما يلي :

١- أن استمرارهم على هذا المنهج المنحرف يدل على أنهم قد

---

١) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٨-١٣٥.

حرموا التوفيق وحل عليهم غضب الله لعنادهم وتكذيبهم لرسالة الله تعالى..

٢- استنكاره لمجادلتهم إياه في أسماء لم يورثوا عبادتها عن شريعة سماوية سابقة ، ولم يقم على عبادتها برهان حتى يتمسكوا به ، ويعتمدوا عليه ، بل هي من وضع الآباء وتزيين الشيطان لعنه الله.

٣- إن تعجيل العذاب هو إلى الله وحده ، وهو الذي يحدد وقته ، وما عليهم إلا أن ينتظروا ما توعد الله به المكذبين لرسله ، وفيه تهديد لهم وتخويف من عذاب الله ، إن هم استمروا على كفرهم ، وقد استمروا على كفرهم فأهلكهم الله ، ونجى الله نبيه ومن معه من المؤمنين(١) قال تعالى : **﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾**.(٢).

وهكذا تدرج هود عليه السلام في دعوة قومه ، فتناول كافة الوسائل والأساليب الممكنة ، حيث بين لهم دعوة الله برفق ، ووضح الأدلة التي تؤيد هذه الدعوة ، وجعلها أدلة بسيطة تلامس المحسوس عند الناس ، ورغب

---

١) انظر : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ٣/٣١١-١٣١٢ ، وفتح القدير للشوكاني ، مرجع سابق ٢/٢١٨ ، والأنبياء في القرآن ، مرجع سابق ص ٨٤ ، ٩٠ ، والقصة القرآنية مرجع سابق ص ٥٢-٥٣ ، مناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٦٨-١٦٩ ، تاريخ الأنبياء للنجار ، مرجع سابق ص ٧٩-٨٢ ، ومن نبأ المرسلين ، مرجع سابق ص ١٢٦-١٦١ ، ١٨٧-١٩٠ ، وقصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى وآخرون ص ٢٣-٢٥ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ص ١٠٢-١٠٨ ، ودعوة الرسل للعدوي ، مرجع سابق ص ١٩-٢٠ ، ودعوة أنبياء الله ورسله ، مرجع سابق ص ٦١-٦٢ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٣٠٨-٣١٨.

٢) الأعراف : ٧٢.

قومه في نعم عديدة إن آمنوا بخالقهم ، وعبدوه وحده ، وخوفهم من عذاب الله ينزل بهم إن لم يؤمنوا .. وكل هذا لم يجد نفعاً ، فكانت النتيجة هلاك الكافرين ، ونجاة نبي الله هود عليه السلام ، ومن آمن معه برحمة من الله تعالى.

ومما لا شك فيه أن هذا التدرج قد آتى ثماره الناضجة وآثاره العظيمة التي ينبغي للدعاة أن يسلكوها ومنها ما يلي:

١- إن استخدام التدرج أسلوب من أساليب التربية يراعى فيه الداعي قدرات المدعوين واستعداداتهم ، فالشيء إذا كان ابتداؤه سهلا حبب إلى من يدخل فيه ، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده..

٢- إن فيه درساً للدعاة ينبغي أن يعوه ويعملوا به ، لأنه أدعى لاستجابة المدعوين لقبول الحق.

٣- يجب على الدعاة أن يتحلوا بالحلم والتغاضي عما ينالهم من الأذى في سبيل دعوتهم ، وذلك اقتداء بأئمة الدعاة ، ورسل الله عليهم صلوات الله وسلامه.

٤- أن يتحلى الداعية بحسن الخلق والمنطق ، ويسدي النصيحة للمدعوين خالصة من الشوائب طلباً لمرضاة الله سبحانه.

٥- ثبات من آمن على الحق لأنه قد استوعب الدعوة وأيقن بصدقها.

ثالثاً : التدرج في دعوة صالح عليه السلام :

قال تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إنَّ ربي قريب مجيب ○ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ○ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غيرَ تخسير ○ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسُّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ○ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثةَ أيامٍ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب ○ فلمَّا جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين معه برحمة منَّا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز ○ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ○ كأن لم يغنوا فيها ألا إنَّ ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾(١).

يبرز أسلوب التدرج في دعوة صالح عليه السلام من خلال تأمل الآيات الكريمة السابقة ، والمتمثل في النقاط التالية:

١- بدأ صالح عليه السلام بدعوة قومه بالأسلوب العاطفي ، كما بدأ نوح وهود عليهما السلام ، وهذا تلطف منه في العبارة ، ولين الجانب ، وحسن

---

١) سورة هود ، الآية : ٦١-٦٨.

تأت لهم في الدعوة إلى الخير ليستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم فيتبعوا الحق الذي يدعوهم إليه فقال مترفقاً بهم ومستميلا إياهم ﴿يا قوم﴾.

٢- استخدم في دعوتهم إلى عبادة الله وحده أسلوب الطلب الصريح بقوله ﴿اعبدوا الله﴾.

٣- أخبرهم بعدم وجود إله لهم غير الله تعالى وذلك يستوجب عبادته ، قال تعالى ﴿ما لكم من إله غيره﴾.

٤- بعد هذا النداء ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له ونفي وجود إله لهم غير الله مستعملا في ذلك أسلوب الطلب بدعوتهم الصريحة إلى عبادة الله واخبارهم بوحدانيته سبحانه ، انتقل إلى تذكير قومه بما أولاهم الله من النعم الكثيرة ، لعل ذلك يكون حافزاً لهم على الإيمان بالله وحده لا شريك له ، ونبذ جميع المعبودات من دون الله تعالى..

حيث ذكرهم بأصل خلقتهم ، وبتمكينهم في الأرض ليعمروها فقال : **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**(١).. وقال : **﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**(٢).

وفي هذا التوجيه من صالح عليه السلام لفت لنظر قومه إلى ما كان

---

١) سورة هود ، الآية : ٦١.

٢) سورة الأعراف ، الآية : ٧٤.

عليه من سبقهم ، وكيف بسط الله عليهم النعم ، وفي هذا مدعاة للتفكير والنظر واستخلاص العبر من حال من سبق ، فإذا عرف المنعم المتفضل عن طريق التفكير انصاع الناس لدعاة الخير..

ولا شك أن أسلوب التذكير كاف لإحياء موات أمة إن أحسن استخدامه ، وصادف نجاحاً وقبولا لدى الفطر السليمة ، والنفوس الكريمة ، وسنن الله سارية في المجتمع الإنساني ، على امتداد تاريخه الطويل ، ذلك ما أنبأنا الله به ، فمن استخلف ثم لم ينهج المنهج الإسلامي في الحياة أبيد وجيء بآخرين(١).

قال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد..**﴾(٢) ، أي إنما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم ، وتعملوا بخلاف عملهم ، وأباح لكم هذه الأرض تبنون في سهولها قصوراً..

---

١) انظر : فتح القدير للشوكاني مرجع سابق ٢١٨/٢ ، ٢٢٠ ، والتحرير والتنوير ٢٢١/٩ ، وفي ظلال القرآن ١٣١١/١ ، ١٣١٣ مرجع سابق ، الفخر الرازي ٣٤/٣ مرجع سابق ، دعوة صالح عليه السلام مرجع سابق ٩١-٩٤ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، مرجع سابق والدعوة إلى الله دراسة مستوحاة من سورة النمل ، د/ عبدالرب نواب الدين ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، وقصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى ، مرجع سابق ٢٦-٢٧ ، ومناهج الجدل ، مرجع سابق ١٦٩-١٧٠ ، ودعوة الرسل للعدوي مرجع سابق ص ٢٨ ، ودعوة أنبياء الله ورسله ، مرجع سابق ص ٦٣-٦٩.

٢) سورة الأعراف ، الآية : ٧٤.

فقابلوا نعمة الله بالشكر ، و العمل الصالح و العبادة له وحده(١).

ويقول محمد أحمد العدوي "انظر كيف يذكر القرآن قوم هود بأنه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ، ويذكر قوم صالح بأنه جعلهم خلفاء من بعد عاد ، وذلك أسلوب من أساليب التربية.. وضرب من ضروب العظة ، يذكر فيها القرآن أولئك القوم بأنه غمرهم بفضله ، وعمهم بإحسانه ، وجعلهم أجلاء عظماء في شؤون الحياة ، ووسائل العمران ، ولا ينبغي ممن كرمهم الله ذلك التكريم أن يلوثوا أنفسهم بالمعاصي ، ويدنسوها بالجرائم ، بل اللائق بذلك النوع من الناس أن يكونوا ممن يكرم نفسه حيث أكرمه الله ، ولا ينبغي له أن يعمل على نجس نفسه حقها ونقصها قيمتها..

ثم قال : وذلك الأسلوب الذي يشعر المخاطب بعلو نفسه وكبر منزلته ، ثم يطالبه بحقوق هذه العزة وما تتطلبه تلك المنزلة ، ويريه أن عصيان الله تعالى هو امتهان للنفس ، ونزول عن المكان اللائق بها ، وكثيراً ما يثمر ذلك النوع من التأثير في نفس المستمع ، وكثيراً ما انتفع به الناس بالعظة من ناحية ما في نفوسهم من عظمة.. وكثيراً ما يلجأ الوعاظ إلى أن يقولوا للمسرف على نفسه إنك رجل من بيت طيب ، و أرومة عالية ، و أبوين شريفين ، وقد كان لأبيك من المجد و السؤدد كيت وكيت ، فلا يليق بك أن تجاري سفلة الناس في تهافتهم على المعصية ، وانحدارهم إلى سفاسف الأمور.. وكثيراً من الناس يعف عن المحرمات لأنها لا تتفق وما ينبغي لمثله من عظمة

---

١) قصص الأنبياء ، لابن كثير مرجع سابق ، ص ١١٨.

، ولا تتناسب مع منزلته في الحياة(١).

٥- أمرهم بالاستغفار والتوبة من ذنوبهم ، ونبههم مثيراً لعاطفتهم أن يعلموا أن ذنوبهم مهما كانت فإنها تغفر ، متى أقبلوا على الله لأنهم يقبلون على رب رحيم ، يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

٦- لما استغلقت قلوب القوم واستمروا في كفرهم وعنادهم.. واستنكروا عليه دعوته لا لحجة ولا لبرهان ، ولا لتفكير ، وإنما تقليداً لآبائهم ، كان رد صالح - عليه السلام - عليهم عن طريق المحاجة العقلية ، بالأسلوب العقلي ، والتنزل إلى مستوى الخصم ، وذلك في قوله لهم ﴿أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير﴾..

قال ابن كثير : هذا تلطف منه لهم في العبادة ، ولين الجانب.. وحسن تأت في الدعوة ، لهم إلى الخير ، أي فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه؟.. ماذا عذركم عند ربكم؟.. وماذا يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته؟..(٢).

٧- ثم عاد ثانية للتلطف في مخاطبة قومه وأعلمهم أن الله تعالى أرسل الناقة آية على صدقه ، وطلب منهم بأسلوب الطلب الصريح أن يتركوها تأكل

---

١) دعوة الرسل إلى الله تعالى ، محمد أحمد العدوي مرجع سابق ، ص ٢٨. بتصرف بسيط .

٢) انظر : قصص الأنبياء ، لابن كثير مرجع سابق ص ١١٩. وانظر دعوة صالح عليه السلام مرجع سابق ص ٩٤ ، والدعوة إلى الله عبدالرب نواب الدين ، مرجع سابق ص ١٤٥ ، ٢٥٠ ، ودعوة الرسل للعدوي مرجع سابق ص ٣٢ ، وقصص القرآن لمحمد أحمد جاد المولى ، مرجع سابق ص ٢٦-٢٧.

في أرض الله ، ولا يتعرضوا لها بسوء ، وأنهم إن تعرضوا لها بنوع من أنواع الأذى أخذهم عذاب قريب ، فلم يكن منهم إلا أنهم نحروها ، فقال لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، وأن ذلك وعد صادق ، ولما جاء أمر الله بالعذاب ، نجى نبيه صالحاً عليه السلام ، ومن آمن معه من ذلك العذاب ، ومن خزي ذلك اليوم الذي حل بقوم صالح ، رحمة منه سبحانه ، وأهلك الله الكافرين.

وهكذا تدرج صالح عليه السلام في دعوة قومه ، حيث بدأهم بالأسلوب العاطفي ، ثم دعاهم إلى الإيمان بما جاء به من التوحيد من عند ربه عز وجل.. ثم حذرهم من عذاب الله تعالى ، وأنذرهم بأسه إن لم يستجيبوا لدعوة الحق مستخدماً اسلوب الترهيب ، وآتاهم ببينة دالة على صدقه ، ونهاهم عن مسها بأي سوء ، وأخبرهم إن فعلوا أن الله سوف يأخذهم بعذاب أليم.

كما كان يلفت أنظارهم إلى النعم التي أنعم الله بها عليهم علهم يؤمنون ، ويقبلون على الحق الذي جاء به ، ولكنه كان ينادي أقواماً عمياً عن رؤية الحق ، صماً عن سماعه ، غلبت عليهم الشقوة ، فأنكروا عليه نهيه لهم عن عبادة ما كان آباؤهم يعبدونه من الأصنام ، وأخبروه أنهم في شك مريب مما يدعوهم إليه ، فما كان منه إلا أن بين لهم عن طريق المحاجة العقلية أن ما جاء به هو الحق ، والصواب ، ولكنهم اتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم ، واستكبروا عن قبول الحق.. فكانت النتيجة بعد أن استخدم صالح عليه السلام كل الوسائل والأساليب الممكنة ، لبيان الحق ، هي

هلاكهم ، ونجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه(١).

وهذا التدرج في دعوة صالح عليه السلام قد أتى ثماره ، وظهرت آثاره واضحة جلية ، من خلال التأمل في دعوة صالح عليه السلام ، ومنها ما يلي:

١- أن على الداعية أن يراعي أحوال المدعوين ويتلطف معهم في الدعوة فإن الشدة لا تأتي بخير.

٢- أن من لا يلتزم بالمنهج الإسلامي فإن الله سبحانه وتعالى يهلكه ويأتي بآخرين ، هذه سنة الله في المجتمع الإنساني ، على امتداد تاريخه..

٣- أن على المدعوين أن يعتبروا بحال من سبقهم.

٤- أن إشعار المخاطب [المدعو] بعلو نفسه وكبر منزلته أدعى لقبوله الحق.

٥- استخدام الأسلوب العقلي ، والتنزل إلى مستوى الخصم من أساليب الدعوة الناجحة ، إذا استخدم بحكمة.

٦- على الداعية أن يستخدم كل الأساليب والوسائل الممكنة لإيصال الدعوة إلى المدعو.

٧- ثبات من آمن على الحق واستيعابهم له ويقينهم بصدقه.

---

١) انظر دعوة أنبياء الله ، مرجع سابق ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ومناهج الجدل في القرآن الكريم مرجع سابق ص ١٧١ ، والأنبياء في القرآن ، مرجع سابق ص ٩٤-١٠٤ ، ودعوة الرسل مرجع سابق ص ٣٣،٣٥ ، والقصة القرآنية هداية وبيان ، مرجع سابق ص ٥٥.

رابعاً : التدرج في دعوة إبراهيم عليه السلام :

أ - دعوته لأبيه :

قال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنَّه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إنِّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان إنَّ الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إنِّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليـاً * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنَّه كان بي حفياً * وأعتزلكم وما تدعـون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاَّ أكون بدعاء ربي شقيـاً *﴾(١).

بتأمل الآيات الكريمة السابقة يبرز بوضوح استخدام ابراهيم عليه السلام للتدرج في دعوته أبيه على النحو التالي :

١- بدأ دعوته لأبيه بأسلوب عاطفي منادياً إياه بقوله ﴿يا أبت﴾ ولم يبدأ الدعوة مع أبيه بتسفيه معبوداته أو تحقير الإلهة ، لئلا ينفر منه أو يرميه بالعقوق والجحود ، بل رتب الكلام معه على أحسن اتساق ، وخاطبه بالقول اللين ، حيث استهل خطابه بتذكيره برابطة الأبوة ، ليستثير عطفه ، ويمس شغاف قلبه ، وهي رابطة من أقوى الروابط ، من شأنها أن تجعل كلا من

---

١) سورة مريم ، الآية : ٤١-٤٨.

المترابطين حريص على مصلحة صاحبه ، ومن ناحية أخرى يحاول نبي الله ابراهيم عليه السلام أن يكسر بهذا الأسلوب الجذاب حدة أبيه ، حتى يستطيع أن يبلغه رسالة الله ، ويقيم عليه الحجة ، وهو هادىء غير ثائر..

٢- بعد أن ناداه بهذا الأسلوب الموجب للحنان ، والعطف ، دعاه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة ، فبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان ، التي لا تسمع دعاء عابدها ، ولا تبصر مكانه ، فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر ، حيث قال له سائلا في أدب رفيع ، مستخدماً الأسلوب الحسي والعقلي معاً ، ﴿لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك من الحق شيئاً﴾.

٣- لما خشي أن ينصرف عنه استصغاراً لشأنه عقب على ذلك بدعوة أبيه إلى الحق ، ولم يصفه بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، حيث قال له ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾.

٤- ثم أراد أن يزهده في أوثانه وينأى به عن عبادة أصنامه ، فأخذ ينهاه عن طاعة الشيطان ، فإن الشيطان عصى الله ، ولا ينبغي للإنسان أن يطيع من عصى ربه.

٥- وختم وعظه بإشفاقه على أبيه وخوفه أن يصاب بعذاب من الله فيكون ولياً للشيطان.

لكن الأب الكافر قابل دعوة الحق التي وجهها إليه ابراهيم عليه السلام باللطف واللين بكل القسوة والغلظة ، فقال له : أتارك يا ابراهيم عبادة آلهتي.. ناداه باسمه ، ولم يقل له يا ولدي ، في مقابلة يا أبت ، ثم هدده بالرجم إن لم يكف عن سب الآلهة ، وطلب من ابراهيم أن يهجره دهراً

طويلا ، ومع كل ذلك فقد قابل إبراهيم عليه السلام غلظة أبيه وجهالته بقول مهذب ، إذ قال له أما أنا فلن ينالك مني أذى ، وسأسأل ربي لك الهداية ، إنه في غاية اللطف بي..

هكذا تدرج إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه بأسلوب يفيض عطفاً ويسيل رقة وحناناً ، يحذر في لطف ، وينذر في لين ، ويعرف مكان الأبوة ويعطيها حقها من اللين والاحترام.(١).

---

١) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤/٢٢-٢٣ ، وفتح القدير مرجع سابق ٣/٣٣٦-٣٣٧ ،وفي ظلال القرآن مرجع سابق ٤/٢٣١١-٢٣١٢ ، ومنهج الأنبياء في الدعوة الى الله ، لمحمد سرور نايف زين العابدين ١/٩٤-٩٦ ، ودعوة أنبياء الله ورسله ، مرجع سابق ٧٦ ، ٧٧ ، وقصص القرآن لمحمد أحمد جاد ، مرجع سابق ص ٣٣-٣٤ ، والدعوة في موكب الأنبياء ، مرجع سابق ٤١-٤٢ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، مرجع سابق ص ١٣٣ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٤٣٩-٤٤١ ، ودعوة الرسل للعدوي ، مرجع سابق ص ٥٠-٥١ ، والقصة القرآنية هداية وبيان ، مرجع سابق ص ٦١ ، والأنبياء في القرآن لسعد صادق ، مرجع سابق ص ١١٦-١١٨ ، ومنهج القرآن في دعوة المشركين لحمود أحمد الرحيلي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٦هـ ، ص ١٤١ ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، لأحمد محمد عبيد ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٤٠٣هـ ص ١٢٩ ، ومناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٧٣-١٧٥.

ب - دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه:

أولا : عبدة الأصنام :

قال تعالى : ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ○ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنَّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ○ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلـــغ المبين﴾(١).

بتأمل هذه الآيات الكريمات يتضح أن ابراهيم عليه السلام قد تدرج في دعوته لقومه بادئاً بالأهم ثم المهم ، بخطوات مرتبة ترتيباً دقيقاً وذلك كما يلي:

١- بدأ عليه السلام ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها حيث دعاهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى واتقاء عقابه وعذابه بإخلاص العبادة له وحده مستخدماً أسلوب الطلب الصريح في قوله لهم ﴿اعبدوا الله واتقوه﴾.

٢- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده ثنى بتحبيبها إليهم لما تتضمنه لهم من الخير في الدنيا والآخرة ، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير مستخدماً أسلوب الاشارة ، وذلك في قوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

٣- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده وحببها إليهم انتقل إلى بيان فساد

---

١) العنكبوت ، الآية : ١٦-١٨.

ما هم عليه من العقيدة ، من عدة وجوه:

أ- أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً ، والوثن التمثال من الخشب ، وهي عبادة سخيفة وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عبادة الله تعالى.

ب - أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل ، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلا من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

جـ - أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً ولا تستطيع أن تملك وتجلب لهم ما به قوام حياتهم ، وأقرب شيء إلى نفوسهم وهو الرزق ، فما فائدتها وما جدواها؟..

وهو بهذا ينبههم ويلفت أنظارهم مستخدماً الأسلوب الحسي والعقلي معاً علهم يحكمون عقولهم ويقلعوا عن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد القهار.

٤- بعد أن بين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة وأن تلك الأصنام لا تستطيع أن تجلب لهم ما يهمهم ويمس حاجاتهم وهو الرزق وجههم إلى أن يطلبوا الرزق من الله ، مستخدماً أسلوب الطلب الصريح في قوله «فابتغوا عند الله الرزق».

والرزق مشغلة النفوس وبخاصة تلك التي لم يستقر الايمان فيها ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة في النفوس.

٥- بعد أن وجههم إلى ابتغاء الرزق من الله وحده دعاهم ثانية إلى عبادة الله وحده والشكر له ، مستخدماً أسلوب الطلب الصريح ، وذلك في قوله : اعبدوا الله واشكروا له﴾.. وذلك خير لهم لأنه لا مفر لهم من الله فهم إليه عائدون ، وسيسألهم عن هذه النعم ، قال تعالى : ﴿إليه ترجعون﴾.

٦- بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده وبين لهم فساد معتقدهم وأن الآلهة التي يعبدونها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً ، وأنهم عائدون إلى الله ومحاسبون على تفريطهم وعبادتهم غير الله تعالى ، وهو المنعم المتفضل عليهم ، بين لهم أنهم إن كذبوا بعد كل هذا فلن يضروا الله شيئاً ولن يخسر رسل الله شيئاً ، فقد كذب الكثير من قبل ، وما على الرسول إلا واجب التبليغ ، وذلك في قوله ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلغ المبين﴾(١).

بهذا الأسلوب المتدرج الحكيم أخذ ابراهيم عليه السلام يدعو قومه لكنهم لم يستجيبوا له بسبب تعلقهم الشديد بالأصنام ، ففكر في تكسيرها ليبرهن على بطلانها عملياً ، لما رأى أن المحاجة باللسان غير مجدية ، وفعلا انتقل من القول إلى الفعل ، فكسر الاصنام مغتنماً فرصة غياب القوم ما عدا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم عليه السلام لكي يقيم الحجة على أن الاصنام لا تملك النفع أو الضر لنفسها ، ولا تسطيع أن تمنع الضر عنها ، فكيف تملك كل ذلك لغيرها.؟ ولكي يرجع القوم إلى الصنم فيسألونه عن كسر الأصنام وهو لن يجيبهم بشيء ، فيتضح لهم عجزه ، وبذلك تقوم الحجة عليهم ويتضح ذلك من خلال تأمل الآيات التالية..

---

١) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤/٤٢١ ، فتح القدير للشوكاني مرجع سابق ٤/١٩٦-١٩٧ ، وفي ظلال القرآن للسيد قطب ، مرجع سابق ٥/٢٧٢٨-٢٧٢٩ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ، مرجع سابق ص ٤٤١-٤٤٢ ، والدعوة إلى الله في سورة العنكبوت لعبيد بن عبدالعزيز السلمي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤١٠هـ ، ص ٣٥٢-٣٥٣ ، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين مرجع سابق ١٣٠-١٣١ ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم مرجع سابق ١٤١-١٤٣.

قال تعالى : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ○ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ○ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ○ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ○ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ○ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ○ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ○ فجعلهم جذاذاً إلاَّ كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ○ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنَّه لمن الظالمين ○ قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم ○ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ○ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ○ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ○ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنَّكم أنتم الظالمون ○ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ○ قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ○ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ○ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ○ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ○ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ○ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ○ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ○ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا

لنا عابدين﴾(١).

في هذه الآيات الكريمات يتدرج إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه مستخدماً الأسلوب العقلي المتمثل في الحوار الذي دار بينه وبين قومه كما هو واضح من الآيات السابقة ، وذلك بسؤالهم عن معبوداتهم تحقيراً وتصغيراً لشأنها ، واتباع ذلك بمواجهتهم بالحكم عليهم وعلى آبائهم صراحة بالضلال ثم يعقب على هذا الحكم بأن الجدير بالعبادة هو رب السموات والأرض الذي أبدع خلقهن وأنه شاهد لربه بالوحدانية.. إلى آخر ما جاء في الآيات من محاورة بينه وبين قومه. ولما لم تجد المحاجة اللسانية شيئاً انتقل إلى تغيير المنكر بالفعل ، فقام بتحطيم الأصنام ما عدا كبيرها ، ليتخذه مادة للحوار مرة أخرى مع قومه ، لإرجاعهم إلى عقولهم ولو للحظة ، لتقوم الحجة عليهم ، وهذا هو المطلوب.

وكاد بعضهم أن يثوب إلى رشده بعد أن ألزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة ، وأسكتهم بالبرهان ، وناقشهم بمنطق الفكر ، غير أن الشيطان لم يفسح لهم المجال بعد أن استولى عليهم ، إذ سرعان ما نكسوا على رؤوسهم ورجعوا إلى جاهليتهم وضلالهم ، بعد تلك الومضة من النور التي جالت في خاطرهم ، قال تعالى : ﴿فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ○ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾..

وهنا يسكتهم إبراهيم عليه السلام حاكماً عليهم بعدم العقل لعبادتهم مالا ينفع ولا يضر ، ولما لم يجدوا حجة يستطيعون أن يردوا بها على

---

١) الانبياء ، ٥١-٧٣.

إبراهيم عليه السلام ، اجمعوا على إلقائه في النار ، ولكن الله سبحانه وتعالى أنجاه وأمر النار بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم(١).

ثانياً : عبدة الكواكب :

قال تعالى : ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنِّي أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فَلَمَّا جَنَّ عليه اللَّيل رأى كوكباً قال هذا ربي فَلَمَّا أفل قال لا أحب الأفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونَنَّ من القوم الضَّالين * فَلَمَّا رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فَلَمَّا أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين * وحاجَّه قومه قال أتحاجُّونِّي في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلاَّ أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم يُنَزِّل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**

---

١) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤/١٠٤-١٠٨ ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١١/٢٩٦-٣٠٥ ، وفتح القدير للشوكاني مرجع سابق ٣/٤١١-٤١٦ ، وفي ظلال القرآن للسيد قطب ، مرجع سابق ٤/٢٣٨٥-٢٣٨٨ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ، مرجع سابق ص ٤٤٢ ، ودعوة أنبياء الله ورسله ، مرجع سابق ص ٨١-٩٣ ، والدعوة إلى الله في موكب الأنبياء ، مرجع سابق ص ٤٦-٤٧ ، ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ١/١١٦-١٣١.

أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنّ ربك حكيم عليم﴾(١).

لقد بينت هذه الآيات الكريمة أسلوب إبراهيم عليه السلام في الاقناع ، حيث سلك مع قومه أسلوب التدرج والاستدراج..

فإنه عليه السلام كما توضح هذه الآيات الكريمة حينما ستر الليل بظلمته كل ضياء ، رأى كوكباً مضيئاً في السماء فقال على سبيل الرد عليهم والتوبيخ والاستدراج لهم حتى يدركوا أخطاءهم في عبادة غير الله ، فيعرفوا أنه سبحانه هو المعبود بحق ﴿هذا ربي﴾.. قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو من غير تعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق ، ثم يكر عليه فيبطله بالحجة..

فلما غاب ذلك الكوكب قال ﴿لا أحب الآفلين﴾.. أي لا أحب عبادة من هذه حاله لأن الرب لا يجوز عليه الغياب أو التغيير والانتقال ، لأن ذلك من صفات المخلوقين..

ثم إنه لما رأى القمر طالعاً قال ﴿هذا ربي﴾ ، على نفس الأسلوب المتقدم ، فلما غاب قال : لئن لم يثبتني ربي على الهدى لأكونن من القوم الضالين.. وفيه تعريض للقوم بأنهم على ضلال.

ثم إنه لما رأى الشمس طالعة قال ﴿هذا ربي هذا أكبر﴾ أي من الكواكب والقمر ، فلما غابت قال : ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾..

---

١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٤-٨٣.

قال ابن كثير : وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة ، من الكواكب النيرة ، لا تصلح للألوهية ، ولا أن تعبد مع الله ، لأنها مخلوقة مربوبة ، مصنوعة ، مدبرة ، مسخرة ، تطلع تارة وتأفل أخرى ، فتغيب عن هذا العالم.. والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، فبين لهم أولا عدم صلاحية الكوكب لذلك ، قيل هو الزهرة ، ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها ، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء ، فبين أنها مسخرة مسيرة ، مقدرة مربوبة.

ثم بعد أن أقام الحجة عليهم بذلك الأسلوب اللين ، أملى عليهم عقيدته ، فأراهم أنه بري مما يشركون بالله ، وأنه أسلم وجهه للإله الذي فطر السموات والأرض ، مائلا من الباطل الى الحق ، ﴿وما أنا من المشركين﴾(١)..

---

١) انظر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ٤٣٩/٢-٤٤١ ، وفتح القدير ، مرجع سابق ١٣٣/٢-١٣٥ ، وفي ظلال القرآن ، مرجع سابق ١١٣٨/٢-١١٤٢ ، ودعوة أنبياء الله ورسله ، مرجع سابق ص ٧٨-٨٠ ، ومناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٨٥-١٩٣ ، ومنهج الانبياء في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ١٠٩/١-١١٠ ، والدعوة في موكب الأنبياء ، مرجع سابق ص ٤٣ ، وقصص الانبياء لابن كثير ، مرجع سابق ص ١٣٥-١٣٦ ، وقصص القرآن لمحمد أحمد جاد ، مرجع سابق ص ٤٤-٤٦ ، والدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، مرجع سابق ص ٤٤٥-٤٤٩ ، ودعوة الرسل للعدوي ، مرجع سابق ص ٤٤-٤٥ ، والقصة القرآنية هداية وبيان ، مرجع سابق ص ٦٣ ، ومسار الدعوة في العهد المكي أ. د/ محمد إبراهيم الجيوش ص ١٢٦ ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، ٥٥٣/٧-٥٦٣..

جـ - محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود :

استخدم ابراهيم عليه السلام الأسلوب العقلي والحسي معاً عندما حاجه النمرود في ربه ، وطلب منه الدليل على وجود الرب ، حيث استدل على ذلك بظاهرتي الإحياء والإماتة ، وهما الظاهرتان المعروضتان لحس الانسان وبصره ، والمتكررتان دائماً ، وهما في الوقت نفسه أبرز خصائص الألوهية القادرة على الايجاد والافناء.. ولكن النمرود ادعى ذلك مكابرة وعناداً لهذا انتقل إبراهيم عليه السلام إلى سنة كونية أخرى ظاهرة مرئية ، وسلك طريقة التحدي في طلب تغيير سنة الله في الكون ، وهذا يتضح من الآية التالية..

قال تعالى : **﴿ألم تر إلى الذي حَاجَّ إبراهيم في ربِّه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(١).

جاء في تفسير ابن كثير ، أن النمرود طلب من إبراهيم عليه السلام دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة ، لانها لم تحدث بنفسها ، فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو

---

١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨.

إلى عبادته وحده لا شريك له ، فعند ذلك قال المحاج وهو النمرود ﴿أنا أحيي وأميت﴾ وأتى برجلين قد استحق القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل ، وأمر بالعفو عن ا لآخر فلا يقتل ، فذلك معنى الاحياء والاماتة ، والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جواباً لما قال ابراهيم ، ولا في معناه ، لأنه غير مانع لوجود الصانع ، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل ، لذلك وأنه هو الذي يحيى ويميت ، لهذا قال له ابراهيم لما رأى هذه المكابرة ﴿فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته.. فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلهاً كما ادعيت وتحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام ، بهت ، أي أخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة.. قال الله تعالى : ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يلهمهم حجة ولا برهاناً بل حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد..

وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين أن عدول ابراهيم عن المقام الأول الى المقام الثاني انتقال من دليل الى أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه وليس كما قالوه ، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، ويبين بطلان ما ادعاه النمرود في الأول

والثاني ، ولله الحمد والمنة(١).

وقال الدكتور زاهر عواض الألمعي ما نصه : قلت والله أعلم أن إبراهيم عليه السلام لما رأى من خصمه المعاندة واللجاجة والمغالطة ، أراد أن يستدرج خصمه وأن يحيطه بلجام من الإلزام والإفحام ، فكأنه قال له : لو سلمنا لك إحدى مقدمات دليلك جدلا ، فإننا نريد منك البرهان على المقدمة الثانية وهي أن من يحيي ويميت قادر على تسخير هذا الكون ، فهل تستطيع أن تغير شيئاً من نظام هذا الكون على خلاف ما هو عليه الآن؟..

وعمد إبراهيم عليه السلام إلى الشمس دون سائر الآيات الكونية الأخرى ، ليلزم خصمه بأحد أمرين ، كلاهما من صميم دعوته عليه السلام:

الأمر الأول : قطع لجاجة الخصم وإفحامه واثبات عجزه وقد جعل هذا الأمر وفقاً لما أراده ابراهيم عليه السلام ولله الحمد.

الأمر الثاني : ان ابراهيم عليه السلام قد خبأ للخصم في هذا الطلب الزاماً آخر يفسد على الخصم جمهور أتباعه ومناصريه فيما لو استرسل في مغالطته إذ كانوا يعتقدون في الكواكب بأنها مؤثرة ويعتبرون الشمس الاله الأكبر.. فلو قال الملك من قبيل المكابرة والمعاندة ، أنا الذي أتيت بها من المشرق وأنا الذي سخرتها تجري في مدارها على هذا النظام القائم ، لقال ابراهيم عليه السلام ، ما دمت أنت المدبر لهذه الأفلاك والمسير لها فكيف يعتقد قومك بأنها آلهة يعبدونها من دونك فهل يكون الإله

---

١) تفسير ابن كثير ، ١/٤٥٣-٤٥٤.

مدبراً أو مسيراً وهذا أمر يستلزم بطلان اعتقادهم في هذه الكواكب بأنها آلهة(١).

وهكذا تدرج إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه والنمرود ، في حوار هادىء قائم على لفت أنظارهم بلطف إلى عدم صحة اتخاذ آلهة تعبد من دون الله ، أو تشرك في العبادة ، متنقلا بهم من حالة إلى حالة ، لكي ينبه عقولهم بهذا الأسلوب المتدرج ، مسايرة لهم حتى يدحض حجتهم ، وذلك أدعى للفت نظرهم إلى ما في حجتهم من خلل ، وأقوم سبيلا في إقناعهم ، لما فيه من نصفة وهدوء.. فيما عدا عبدة الأصنام فإنه عليه السلام لما لم يجد معهم الحوار انتقل إلى الفعل.

ولكنه على الرغم مما بذله من جهود مضنية لهداية قومه وما تحمله من متاعب في سبيل ابلاغ الدعوة سواء مع أبيه أو في محاجته لعبدة الأصنام أو عبدة الكواكب ، أو الملك المغالي الجاحد وإقامة الحجة على أولئك جميعاً لم تجد دعوته آذاناً صاغية في قومه ، إلا النزر اليسير منهم ، فقرر عليه السلام الهجرة إلى حيث أمره الله لعله يجد أرضاً يستطيع فيها أن يعبد الله وينشر الدعوة الإسلامية التي أمر بتبليغها..

قال تعالى : **﴿فآمن له لوط وقال إنّي مهاجر إلى ربي إنّه هو العزيز الحكيم ○ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة**

---

١) مناهج الجدل ، مرجع سابق ص ١٥٥.

والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصَّالحين﴾(١).

ولا شك أن للتدرج في دعوة إبراهيم عليه السلام آثار عظيمة من أهمها ما يلي:

١- أن على الداعية أن يستخدم كل الوسائل والأساليب الممكنة والمشروعة في دعوته ، وألا ييأس من عدم استجابة من يدعوهم بل يستمر في دعوتهم لعل الله أن يهديهم الى الحق.

٢- إذا لم يستطع الداعية أن يعبد الله في أرض ما ولم يستطع أن ينشر الدعوة فعليه أن يهجر تلك الأرض ويبحث عن مكان آخر يستطيع فيه أن يعبد الله وحده وينشر الدعوة الإسلامية.

٣- أن على الداعية أن يستخدم الأسلوب المناسب مع المدعوين حسب قدراتهم واستعداداتهم ، ومدى تقبلهم لقبول الحق مراعياً نوعية الاسلوب مع كل منهم ، فقد يكون الأسلوب العاطفي مناسب لبعضهم وغير مناسب للبعض الآخر ، والداعية هو الذي يحدد نوعية الأسلوب المناسب لكل مدعو.

---

١) العنبكوت : ٢٦-٢٧.

خامساً : التدرج في دعوة شعيب عليه السلام :

قال تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنِّي أراكم بخير وإنِّي أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ * قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد أباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنَّك لأنت الحليم الرشيد * قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب * ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إنَّ ربي رحيم ودود * قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنَّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموهم وراءكم ظهرياً إنَّ ربي بما تعملون محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب * ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة

فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾(١).

بتأمل الآيات الكريمة السابقة ، يتضح استخدام نبي الله شعيب عليه السلام للتدرج في دعوة قومه في النقاط التالية:

١- بدأ شعيب عليه السلام دعوته لقومه بأسلوب عاطفي كما بدأ نوح وهود وصالح وإبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه ، طلباً لإقبال أذهانهم وتمهيداً لقبول نصحه ، إذ الرجل لا يريد لقومه إلا ما يريد لنفسه ، فقال لهم مترفقاً بهم ، ومستميلا إياهم ﴿يا قوم﴾..

٢- استخدم أسلوب الطلب الصريح في دعوتهم إلى عبادة الله وحده بقوله ﴿اعبدوا الله﴾.

٣- أخبرهم بعدم وجود آلهة لهم غير الله وذلك أدعى لعبادته ، قال تعالى ﴿ما لكم من إله غيره﴾ ، وهو حكم قاطع بنفي الألوهية عن غير الله سبحانه وتعالى ، لاختصاصه جل شأنه بالعبادة وحده.

٤- نهاهم زاجراً لهم عن نقص المكيال والميزان بقوله : ﴿لا تنقصوا المكيال والميزان﴾.

٥- استخدم أسلوب الترغيب عن طريق تذكيرهم بنعم الله في قوله ﴿إني أراكم بخير﴾ ، ففي هذا تحريض لهم على الإيمان وإغراء لهم باستنقاذ أنفسهم من الهلاك ، ولا شك أن الجوانب الحسنة في المدعوين من العوامل المؤثرة في نفوسهم لاتباع من يدعوهم ، حيث بين لهم أنهم على

---

١) سورة هود ، الآية : ٨٤-٩٥.

جانب من الخير ، وفيهم بذرة طيبة ، وعليهم أن يكملوا ويتمموا هذا الخير الموجود عندهم..

٦- استخدم أسلوب الترهيب في قوله : ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾.

٧- مما سبق يتضح أن شعيباً عليه السلام بعد الدعوة إلى إصلاح العقائد اتجه إلى معالجة أخطر الأمراض التي كانت فاشية في مجتمع قومه ، وهي تطفيف الكيل والميزان ، وبخس الناس أشياءهم ، وإشاعة الفساد في الأرض ، حيث قال لهم مستخدماً أسلوب الطلب الصريح ، بعدما كان من صده زاجراً ﴿ويا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾..

٨- استخدم أسلوب الترغيب ، حيث قال لهم ﴿بقيت الله خير لكم﴾ يقول صاحب التفسير الواضح : واعلموا أن ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة وأحمد عافية ، مما تبقونه لأنفسكم في تطفيف في الكيل أو نقص في الوزن..

وفي سورة الأعراف قال : ﴿ذلك خير لكم﴾(١) ، مستعملا أسلوب الإشارة ، مشيراً بذلك إلى كل ما تقدم من أمر ونهي أي هو خير لكم في دينكم ودنياكم..

٩- عقب على ذلك بقوله : ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مستعملا أسلوب الشرط والغرض من هذا الشرط حفز النفوس إلى العمل ، وسوقها إلى الامتثال

---

١) سورة الأعراف ، الآية : ٨٥.

ما دامت قد آمنت بأن الله لا يشرع للناس إلا ما فيه الخير ، ولا يريد بتشريعه إعناتها..

١٠- لما لم يستجب قومه لدعوته وقالوا له : أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها أباؤنا؟.. وترك تطفيف الكيل والميزان ، فهل أنت العاقل المتصف بالحلم والرشد ؟ كان رده عليه السلام عليهم بأسلوب عقلي متلطفاً معهم في العبارة ، وداعياً لهم إلى الحق ، بأبين إشارة ، فقال لهم : أخبروني إن كنت على برهان من ربي ، وهو النبوة ، ورزقني المال الحلال ، فهل يجوز لي عدم دعوتكم إلى الحق؟.. وإنني لا أنهاكم عن شيء وأفعله ، كما أنني لا أريد إلا إصلاح أمركم بقدر استطاعتي ، وليس التوفيق إلى الخير إلا بإرادة الله سبحانه ، عليه اعتمدت وإليه أنيب..

وفي هذه الآية الكريمة درس للدعاة إذ يجب عليهم أن يراعوا في سلوكهم أشد المراعاة كل كلمة وتصرف ، يصدر منهم ، فالسلوك يؤثر أكثر من الكلمات.. ولا شك أن مجرد إلتزام الداعية بالإسلام هو دعوة ، ولو لم يأمر الناس وينهاهم ، فكيف إذا صاحب ذلك الالتزام دعوة فيها أمر ونهي؟..

١١- انتقل إلى نوع من الترهيب فقال : ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود ، أو قوم صالح ، وما قوم لوط منكم ببعيد﴾..

يحذرهم نبي الله شعيباً عليه السلام ألا تحملهم مشاقتهم له أن يعصوا الله ويخرجوا عن حدوده ، فيصيبهم من العذاب ما أصاب من قبلهم من المكذبين ، وكثيراً ما يجر التمادي في العداوة إلى مالا تحمد عقباه ، وكأنه

يقول لهم : كونوا عقلاء مفكرين ، وزنوا الأمور بميزان الحكمة والانصاف ، وانظروا في دعوتي لكم لتروا أهي دعوة أساسها الشهوة والهوى ، أم أساسها المصلحة ، وطلب مرضاة الله ، ولا تسايروا الهوى ، وداعية الانتقام ، فإن ذلك يجركم إلى مآثم لا قبل لكم بها ، كما حصل لمن قبلكم لما عصوا ، فعليكم أن تعتبروا بهم ، وتذكروا بما حصل لهم..

ثم أمرهم أن يستغفروا ربهم ، وأن يتوبوا إليه ، فإنه رحيم بمن استغفره ، ودود لمن تاب إليه.

ولكن القوم أصروا على كفرهم ، وقالوا له : إنهم لا يفقهون ما يدعوهم إليه وهددوه بالقتل والرمي بالحجارة ، لكنه عليه السلام استمر في الرد عليهم بأسلوب عقلي ، علهم يقبلون الحق الذي جاء به ، ولكنهم أصروا على الكفر والعناد ، فكانت النتيجة نجاة شعيب عليه السلام ومن آمن معه ، وهلاك الكافرين(١).

وهكذا تدرج شعيب عليه السلام في دعوة قومه مستخدماً كل الوسائل

---

١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٥٦-٢٥٩ ، مرجع سابق ، وفتح القدير مرجع سابق ٢/٥١٨-٥٢١ ، في ظلال القرآن مرجع سابق ٤/١٩١٧-١٩٢٣ ، ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ٢/٥٥،٧٢-٧٥،٨٧-١١٤ ، ١١٧ ، وقصص الأنبياء لابن كثير ٢٠٨-٢١٥ ، ودعوة أنبياء الله ، مرجع سابق ، ص ١٠٠-١٠٦ ، وقصص القرآن ، مرجع سابق ص ١٠٧-١١٠ ، ودعوة الرسل مرجع سابق ص ١٥٣-١٥٨،١٦٨ -١٧٢ ، والأنبياء في القرآن مرجع سابق ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، والقصة القرآنية هداية وبيان مرجع سابق ، ص ٨٣-٨٤ ، وتاريخ الأنبياء ، مرجع سابق ص ١٦٦-١٧١ ، والموعظة الحسنة لبشير محمد أحمد بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشور ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠-٦١ ، ودعوة شعيب ، لحسين عبدالقادر يوسف مصطفى ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشور ١٤٠٢هـ ، ص ٣٥-٣٩،٤٩.

والأساليب الممكنة بالأسلوب العاطفي مرة ، وبالأسلوب العقلي تارة ثانية ، ولكن كل تلك الأساليب والوسائل لم تجد شيئاً ، بل أصر القوم على كفرهم وعنادهم.. فكانت النتيجة هلاك الكافرين ونجاة شعيباً عليه السلام ومن آمن معه.

ولا شك أن لهذا التدرج آثار عظيمة ، ونتائج مهمة ، تمثلت في ثبات من آمن على الحق ، لأنه استوعب الدعوة وأيقن بصدقها ، وتمكينهم في الأرض ، أما الذين لم يستجيبوا للدعوة ، فقد أهلكهم الله ، وهذه سنة الله على مدار المجتمع الإنساني.

المبحث الثاني
التدرج في دعوة النبي ﷺ
وأثره في الدعوة إلى الله

ويشمل

١- الاتصالات الشخصية للرسول ﷺ ومن تبعه من الصحابة رضي الله عنهم.

٢- الاجتماعات السرية لتعليم القرآن الكريم وفقهه وتطبيقه.

٣- البدء بدعوة الأقربين.

٤- إعلان الدعوة في تجمع عام.

٥- استمرارية اعلان الدعوة في النوادي وفي التجمعات وحتى في البيوت.

٦- نشر الدعوة بأسلوب الهجرات وذهابه الى الطائف وعرض نفسه على القبائل.

٧- الانتقال بالدعوة إلى المدينة.

٨- أسلوب تكوين المجتمع المسلم عن طريق المؤاخاة وبناء المسجد وعقد المعاهدات.

٩- أسلوب الجهاد للدفاع عن الدعوة.

١٠- نشر الدعوة عن طريق إرسال الرسل و المكاتبات.

أولا : الاتصالات الشخصية للرسول ﷺ
ومن تبعه من الصحابة رضي الله عنهم

إن المتأمل في سيرة الرسول ﷺ يتضح له بجلاء قيام الرسول عليه الصلاة والسلام باستخدام كافة الوسائل والأساليب الدعوية القائمة على تشخيص الداء عند المدعوين ومعرفة الدواء والتأكيد على ذلك ، وإزاحة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والاحساس به وترغيبهم في استعمال الدواء وترهيبهم من تركه ، ثم تعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم(١).

ومن ذلك الاتصالات الشخصية للرسول ﷺ لما يتضمنه الاتصال من تحقيق للتعارف ، ورفع للكلفة ، وربما الحصول على صداقات متوقعة ، وأيضاً الوصول إلى قلب المدعو ، وكل تلك مؤشرات إيجابية يحرص الداعية على الاستفادة منها(٢).

ولذا ، فإنه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بعد نزول قوله تعالى : ﴿**يا أيُّها المدَّثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر**﴾ (٣).. قام عليه الصلاة والسلام بدعوة كل من يثق به ، ويطمئن إليه من أهل بيته واصدقائه سراً ،

---

١) أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان ، ص ٤٢٠ ، وانظر الحكمة في الدعوة إلى الله مرجع سابق ، لسعيد بن علي القحطاني ص ١٢٣ ، ١٢٤..

٢) انظر خصائص الدعوة والدعاة ، مرجع سابق ، عبدالرحمن أبو بكر ص ٤٥٠ ، بتصرف.

٣) سورة المدثر : آية ١-٧.

وذلك بعرض الإسلام عليه بأسلوبه الحكيم المستمد من آيات القرآن الكريم النازلة عليه من رب العالمين..

فآمنت زوجته خديجة رضي الله عنها ، وكانت أول من آمن من النساء وآمن أبو بكر رضي الله عنه ، وكان أول من آمن من الرجال ، وآمن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وكان أول من آمن من الصبيان ، وآمن زيد بن حارثة ، رضي الله عنه ، وكان أول من آمن من الموالي.

ولما آمن أبو بكر رضي الله عنه أخذ يدعو إلى الإسلام كل من يثق به من قومه ، فأسلم على يديه عدد من خيرة الرجال ، كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم.. وأخذ هؤلاء يدعون إلى الإسلام من يتوسمون فيه الصلاح من الناس ، وأصبحت هذه الفئة سنداً لرسول الله ﷺ في دعوته إلى الحق والعدل..

وقد أسلم بدعوة الرسول ﷺ ودعوة أصحابه الذين أسلموا أناس كثيرون.. ولكن الدعوة في هذه المرحلة كانت سرية ، لعدم الرغبة في مبادأة القوم بما يفجأهم ، ويهيجهم ، حتى أن كل من كان يريد العبادة او الصلاة يذهب الى شعاب مكة ، ليعبد الله مستخفياً ، وبعيداً عن أنظار قريش..

واستخدام الرسول ﷺ لهذا الأسلوب في الدعوة من سياسته الحكيمة وكياسته البصيرة ، مراعاة للظروف التي كانت تقتضي ذلك وتعليماً للدعاة من بعده ، وإرشاداً لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والحذر ، والأسباب الظاهرة ، والوسائل الموضوعية ، التي تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة ، وأهدافها ، وأيضاً ليعطي درساً عملياً لكل من يتصدى

لدعوة إصلاح ولكل داع إلى الله بأن يستخدم أسلوب التدرج ، و يحدد مركز الانطلاق بدقة ، وبثقة تامة ، وبخاصة في أول خطوات سير الدعوة ، ليعد لها أرضاً صلبة تقف عليها في كفاحها ونضالها ، لئلا يقضى عليها في مهدها فتموت(١).

ثانياً :

الاجتماعات السرية لتعلم القرآن وفقهه وتطبيقه

بينما كان المسلمون في شعب من شعاب مكة ، يستخفون بصلاتهم ، طلع عليهم نفر من المشركين ، فعابوا عليهم صلاتهم وتشاجروا وحصل بينهم تماسك بالأيدي ، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أهريق في الإسلام.

وعلى أثر هذا الحادث وما تقتضيه الظروف المحيطة بالدعوة ، وتزايد عدد المسلمين ، الأمر الذي يقتضي وجود مقر يجتمعون فيه ، ولينأى الرسول ﷺ بمن يدخل معه في الإسلام بعيداً عن أعين المجتمع المشرك ،

---

١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٥٧-٦٠ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٩٩-٢٠٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١/٤٢٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٦٠ ، وفقه السيرة للبوطي ٧٦ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ١/٢٨٣ ، وفن الدعوة في ضوء السيرة النبوية د/ جلال النشار ١٦٣ ، ومحمد رسول الله لمحمد صادق العرجون ١/٥٩٦ ، وأصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ٤٠١-٤٠٣ ، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ١٠٤-١٠٥ ونظرية الاعلام في الدعوة الإسلامية ، أمينة الصاوي ١١٥-١١٦ ، ودعوة محمد ﷺ أ. د. عبدالخالق ابراهيم ٦٠ ، والحكمة في الدعوة إلى الله ، لسعيد بن علي القحطاني ١٣٨-١٤٠.

حتى لا يتأثر به فتضيع من ذهنه مباديء الإسلام في مهده ، اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم مقراً رئيسياً يجتمع فيه المسلمون ، فيعبدون الله سراً ويلقنهم النبي ﷺ الإسلام وأصوله ، ويتعهدهم بالتربية..

ومن لا يستطيع الوصول إلى دار الأرقم كانت تصله الآيات مكتوبة ، ويصل إليه من يتلوها عليه ويعلمه إياها ، إذ كانت هناك مراكز فرعية للاجتماعات السرية ، مثل دار سعيد بن زيد رضي الله عنه(١).

ثالثاً : البدء بدعوة الأقربين :

من الطبيعي أن يبدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين ، لأن الاهتمام بهم أولى.. ولأن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم ، وإلا كانوا علة للأبعدين في الامتناع(٢).

كما أن دخول الأقربين في الإسلام وإيمانهم بالدين الحق فيه دعم للدعوة والداعي ، وقوة ترهب العدو خاصة وأن النظام القبلي يعتمد على الحمية والوقوف مع القبيلة في السراء والضراء(٣).

---

١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦٠/٢ ، وتاريخ الطبري ، محمد بن جرير ٣١٨/٢ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ، ٢٨٩/١ ، والسيرة النبوية تربية أمة لصالح أحمد الشامي ص ٢٥ ، والسيرة لابن هشام ٢٣٨/١ ، وزاد المعاد لابن القيم ١٣١/٢ ، ودعوة محمد ﷺ أ. د. عبدالخالق ابراهيم ٦١ ، وفجر الدعوة الاسلامية في مرحلتها المكية د. محمود محمد رسلان ١٣٦-١٣٧ ، ومسار الدعوة في العهد المكي أ. د. محمد ابراهيم الجيوش ص ١٦٧ ، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ١٠٤-١٠٥.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري مرجع سابق ٣٦٢/٨ ، وفتح القدير مرجع سابق ١١٩/٤، ١٢٠.

٣) الأسلوب النبوي في الدعوة ، د/ الشريف حمدان راجح الهجاري ١٣٩.

لهذا فإن النبي ﷺ بعد أن أمره ربه بإنذار عشيرته الأقربين ، قال تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام بعمل وليمة في بيته ، ودعا إليها بني هاشم ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف ، ليطمئن قلوبهم ويجذبهم إلى دعوته بلين ورفق ، وبعد أن فرغوا من طعامهم ، أراد النبي ﷺ أن يتكلم ويخبرهم بما جمعهم من أجله ، لكن أبا لهب بادره الكلام قائلا : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك ، فتكلم ودع الصبأة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسبك بنو أبيك ، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون من قريش ، وتمدهم العرب.. فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به.. فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ولكنه عليه الصلاة والسلام لم ييأس ، فأعاد الدعوة مرة ثانية ، فلما فرغوا من طعامهم بادرهم الرسول ﷺ بقوله : « الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. أما بعد : فإن الرائد لا يكذب أهله ، ولو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فقال : ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ ، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وإني رسول الله ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنها للجنة أبداً ، أو النار أبداً ، يا بني عبد المطلب : والله ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة

، فمن يجيبني على هذا الأمر ويؤازرني على القيام به؟..

فقال أبو طالب : ما أحب الينا معاونتك وأقبلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنما أنا أحدهم ، غير أني أسرعهم إلى ما تحب ، فامضي لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب..

فقال أبو لهب : هذه والله السوأة ، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا(١).

رابعاً : إعلان الدعوة في تجمع عام:

لما أمر الله نبيه عليه السلام بإنذار عشيرته الأقربين ، بقوله تعالى **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تشركون﴾**(٢).

---

١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣/٤٣-٤٥ ، طبقات ابن سعد ١/١٨٧ ، وتاريخ الطبري ٢/٣١٩-٣٢١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١/٤٥٧-٤٦٠ ، والكامل في التاريخ ٢/٦١-٦٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/٣٤٠-٣٤٢ ، وروح المعاني للألوسي ، مرجع سابق ١٩/١٣٥ ، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ، مرجع سابق ٨٩-٩٠ ، ومسار الدعوة في العهد المكي ، أ. د/ محمد ابراهيم الجيوشي ص ١٦٨ ، ومواقف من حياة رسول الله ﷺ أ. د. محمد ابراهيم الجيوشي ، ص ١٠٤-١٠٥ ، وفن الدعوة في ضوء السيرة د/ جلال سعد البشار ، ١٦٦-١٦٧ ، والأسلوب النبوي في الدعوة ، د/ الشريف حمدان راجح الهجاري ، ١٣٩-١٤٠ ، والدعوة إلى الله في عهدها المكي ، د/ رؤوف شلبي ص ٣١٤-٣١٥ ، وأسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، عبدالله محمد آل موسى ص ٢٠١.. وفقه السيرة للغزالي ص ١٠٢-١٠٣.

٢) سورة الشعراء : الآية : ٢١٤-٢١٦.

قام الرسول ﷺ بتنفيذ أمر ربه ، بالجهر بالدعوة ، والصدع بها ، وانتقل بدعوته من محيط العشيرة الأقربين الى أهل مكة جميعاً ، بعد أن ضمن موقف عشيرته الأقربين ، لما أعلن عمه أبو طالب ومن ورائه بنو هاشم مساندتهم لرسول الله ﷺ وعدم وقوفهم ضده ، وإن لم يتابعوه جميعاً على ما جاء به إلا أبا لهب ، فقد صرح بالعداوة ، ووقف في جانب مناوىء معلناً بالعداوة ، قال ابن كثير في تفسيره : ثم كان بعد هذا والله أعلم ، أي بعد دعوته لبني عبدالمطلب دعاؤه الناس جهراً على الصفا ، وإنذاره لبطون قريش عموماً وخصوصاً ، حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى ، كما يتضح من الروايات التالية :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته**

حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾(١) رواه البخاري ، واللفظ له(٢)..

وفي رواية أخرى لأبي هريرة رضي الله عنه ، أنه دعا قريشاً فعم وخص ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها» رواه مسلم واللفظ له(٣).

وفي رواية لعائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال رسول الله ﷺ يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا بني عبد المطلب ، إني لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم ، وقال عنه الترمذي : حسن صحيح(٤).

وهكذا رتب النبي ﷺ دعوته في بداية الأمر بالجهر بالدعوة ، بدعوة

---

١) سورة المسد : ١-٥.

٢) فتح 71الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، الحديث رقم ٤٧٧٠ ، ٤٧٧١ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٧٢ ، ٤٩٧٣ باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، وتفسير سورة المسد ٣٦٠/٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ومسلم بشرح النووي ، في كتاب الايمان بنحوه باب قوله : وأنذر عشيرتك الأقربين ٨٣/٣. رقم الحديث ٢٠٨.

٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري مرجع سابق ، كتاب التفسير ، باب : وأنذر عشيرتك الأقربين ، الحديث رقم ٤٧٧١ ، ٣٦٠/٨ ، ومسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، كتاب الايمان ، باب قوله : وأنذر عشيرتك الأقربين ٧٩/٣-٨٠ رقم الحديث : ٢٠٤ ، ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي الحديث رقم ٣٢٣٧ ، بنحوه تفسير سورة الشعراء ٤١/٩-٤٢..

٤) تحفة الأحوذي ، المرجع السابق ٤٠/٩-٤١. الحديث رقم ٣٢٣٦

الأقربين أولا ، ثم دعوة أهل مكة عامة ، ولا شك أن هذا الأسلوب الذي استخدمه الرسول ﷺ كان في منتهى الحكمة ، كما أنه يدل على معرفة النبي ﷺ ودراسته لأوضاع المجتمع ، والبيئة بدقة ، قبل أن يدعوهم ، وهذا ما يجب على الداعية أن يراعيه في كل عصر ، ومكان ، وقد تدرج النبي ﷺ في هذه المرحلة ، كما يتضح من النقاط التالية :

١- قيام الرسول ﷺ باستخدام الطريقة المألوفة لديهم لجمعهم عند الاحساس بالخطر حيث نادى بأعلى صوته [يا صباحاه] لإظهار أهمية هذه الدعوة وجذب اهتمامهم بها فلم يتأخر من قريش أحد تلبية لهذا النداء واجتمعوا إليه بين رجل يجيء بنفسه ورجل يبعث إليه رسوله.

٢- قيام الرسول ﷺ بنداء بطون قريش بطناً بطناً ولم يترك أحداً منها دليل على معرفته بأنساب العرب وتاريخهم.. وهكذا يشترط في الداعي الناجح أن يلم بأحوال المخاطبين لضمان سرعة التفاعل والتأثير بينه وبينهم ، كما أن توجيه النداء لجميع بطون قريش كان بغرض إقامة الحجة على الجميع.

٣- بدأ كلامه بذكر أمر خطير حتى يصغوا إليه ويستمعوه مستخدماً أسلوباً رائعاً حيث يقيس غائباً على حاضر ليسهل عليهم إدراك الأمور الغيبية التي يريد التصديق والايمان بها ، فهم يعلمون النوم وما يعتري الانسان فيه من عدم الاحساس والادراك لما حوله ، أما الاستيقاظ فعوده الحركة والحياة ، والادراك يقيس لهم النبي ﷺ الموت على النوم والبعث على اليقظة ، ليقرر المعنى في قلوبهم ، «والله لتموتن كما تنامون ،

ولتبعثن كما تستيقظون».. ، لهذا ينبغي على الداعية أن يكون واضحاً في دعوته ، مستخدماً كل الأساليب السهلة التي تصل إلى النفوس ، لئلا ينفر المدعو ، فكم من نافرين من الدعوة لعدم فهمهم إياها.

٤- استخدم الرسول ﷺ أسلوب استخراج الحقائق من الخصم عن طريق أخذ إقرارهم وشهادتهم بأمانته وصدقه قبل أن ينبأهم بأمر ليقطع عليهم طريق تكذيبهم إياه فيما بعد ، وإن كذبوا يكون ذلك شهادة عليهم وحجة ضدهم ، ويتبين عنادهم وتعنتهم.. وفي هذا إبراز لأهمية وخطورة السيرة الذاتية والصفات الشخصية للداعية ، وأثرها في دعوته.

٥- الإيجاز البليغ لئلا يمل أحد أو يفوته شيء مما أراد إبلاغهم إياه مستخدماً أسلوب الترهيب لما له من أثر عميق ، ولما تقتضيه ظروف المخاطبين من حيث المكان والزمان ، حيث أنذرهم العذاب إن لم يستجيبوا له ، والخلاصة أن هذه الجمل التي أعلن الرسول ﷺ فيها دعوته لقومه كانت من جوامع كلمه ﷺ..

ففيها تعريف بمقام النبوة ، وبالعقيدة الإساسية المتصلة بعلم الغيب ، وفيها موعظة وإنذار في حكمة وبلاغة ليس لها مثيل ، بأقصر طريق ، وأوضح أسلوب..

وهكذا يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يكون واضح الأسلوب ، ناضج الفكرة ، مرتباً دعوته ترتيباً منطقياً ، متجنباً غريب الأساليب والتعقيدات ، التي تجعل المدعوين ينفرون من دعوته ويرفضونها ، لعدم

فهمهم لها ، لصعوبة عرضه لها ، وركاكة أسلوبه في تبليغها(١).

خامساً : استمرارية إعلان الدعوة في النوادي وفي التجمعات وحتى في البيوت:

ليس من طبيعة الداعية أن يقف عند أول خطوة يخطوها سواء تعثر أو استمر في الطريق.. لهذا فإن سيد الدعاة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم استمر في إعلان الدعوة إلى الله ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عن ذلك صاد ، يتتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ، ومحافلهم ، وحتى في بيوتهم ، وفي المواسم يدعو من لقيه من حر وعبد ، وقوي وضعيف ، وغني وفقير ، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

فقد أخرج الإمام أحمد عن جابر قال : «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفي المواسم يقول :

---

١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٠/١ ، والكامل في التاريخ ٦٠/٢ ، تاريخ الطبري ٣١٩/٢ ، وتفسير الطبري ٦٨/١٤ ، الرحيق المختوم ٩٠ ، السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٢/١ ، وفقه السيرة للغزالي ١٠٠-١٠١ ، ومواقف من حياة رسول الله ﷺ للجيوشي ، مرجع سابق ص ١٠٦ ، ومباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها وبعض رجالها ، أ/د/ عبدالخالق إبراهيم ص ١٨٩-١٩٠ ، ومسار الدعوة في العهد المكي للجيوشي ، مرجع سابق ص ١٦٨-١٦٩ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ، ص ١٤١-١٤٢ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ٢٩٢/١ ، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١٣٧-١٣٨ ، ودعوة محمد ﷺ أ/د/ عبدالخالق ابراهيم ص ٦٢-٦٣ ، وأساليب الدعوة ، عبدالحكيم عبدالسلام ص ١٢٧-١٢٨ ، وفن الدعوة إلى الله في ضوء السيرة النبوية ، مرجع سابق ص ١٦٦-١٦٩-١٧٠.

من يؤويني ؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ، فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه وذو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضي من رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عبدالله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما قال : « أقام رسول الله ﷺ ثلاث سنين من نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة ، وذي المجاز ، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره حتى إنه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة..

وقد بذل الرسول ﷺ جهوداً مضنية في هذا المجال ، ودعا إلى سبيل ربه بكل الوسائل والأساليب الممكنة ، فمرة بالترغيب ، ومرة بالترهيب ، ومرة بالقول اللين ، وأخرى بالتبكيت والقول الخشن ، فسبحان من شد عزائمه ، وقوى دعائمه ، وشرح صدره ، وأعلى قدره ، وسدده بتسديده ، وأيده بتأييده(١).

---

١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٦٠-٤٦٢ ، وسيرة ابن هشام ١/٤٢٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٢/٣٤٨-٣٥١ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/٩٣-٩٤. ودعوة محمد ﷺ أ. د. عبدالخالق ابراهيم ، مرجع سابق ص ٦٥-٦٦ ، والحكمة في الدعوة ، للقحطاني ، مرجع سابق ص ١٤٢-١٤٣.. وبهجة المحافل وبغية الأماثل للعامري ١/٨٢ ، ومنهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية لعلي جابر الحربي ص ٢١٦.

سادساً : نشر الدعوة بأسلوب الهجرات وذهابه ﷺ إلى الطائف وعرض نفسه على القبائل :

أ/ الهجـــــرات :

لما رأى رسول الله ﷺ تمادي قريش في غيها وتكبرها وإصرارها على تعذيب من آمن برسول الله ﷺ من الفقراء والضعفاء ، وإهانتهم وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل ، ثم من عمه أبي طالب ، وأنه غير قادر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»..

فخرج إلى الحبشة في المرة الأولى عشرة رجال واربع نسوة ، وذلك في السنة الخامسة من البعثة ، في شهر رجب ، وقد عادوا إلى مكة في شهر شوال من نفس العام ، بسبب خبر كاذب مفاده أن قريشاً دخلوا في الإسلام.. ولما رأى المسلمون العائدون من الحبشة أن الأذى لا يزال مستمراً ، والبلاء لا يزال قائماً ، بل اشتد أكثر من ذي قبل ، أشار النبي ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى ، وقد كانت هذه الهجرة أشد من سابقتها ، فقد تيقظت لها قريش ، وقررت إحباطها غير أن المسلمين كانوا أسرع ، ويسر الله لهم السفر ، وكان عدد المهاجرين هذه المرة ثلاثة أو اثنين وثمانين رجلا ، وثماني عشرة امرأة.

ولكن قريشاً لما رأت أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً واستقراراً ، وحسن جوار من النجاشي ، يعبدون الله وهم مطمئنون لا يؤذيهم أحد ، ولا

يسمعون شيئاً يكرهونه ، استقر رأيها على أن تبعث وفداً إلى النجاشي ، مزوداً بهدايا له ، وللرجال الذين من حوله ، واختاروا للقيام بهذه المهمة عمرو بن العاص ، وعبدالله بن أبي ربيعة ، أو عمارة بن الوليد ، على اختلاف بين الروايات..

ولكن وفادتهم قد باءت بالفشل ، وحمى الله المؤمنين من بطشهم ، وأمن المسلمون في الحبشة ، في جوار النجاشي ، الذي أسلم فيما بعد(١).

وعلى كل ، فإن هذه الهجرة تتضمن أسلوباً رائعاً وحكيماً من رسول الله ﷺ مع أصحابه المؤمنين ، يتضح من خلال النقاط التالية:

١- حرص الرسول ﷺ على سلامة أصحابه حماة الدعوة والصادعين بها أمام تلك الطغمة الكافرة ، حيث لم يرد أن يتعرضوا لألوان التعذيب ، وربما فتنوا عن دينهم تحت وطأة التعذيب ، لهذا نصحهم وأشار عليهم بالخروج إلى الحبشة محدداً لهم مكان الهجرة حتى لا يتشتتوا في عدة أماكن لا يأمنون على أنفسهم.

٢- إعطاء الفئة المؤمنة فرصة للراحة واستعادة القوى مما لحق بهم من أذى الكفار.

---

١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٠٣-٢٠٦ ، وتاريخ الطبري ٢/٣٢٨-٣٣٢ ، ٣٣٥-٣٤١ ، السيرة النبوة لابن كثير ٢/٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٧٦-٨١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣ ، والرحيق المختوم ١٠٥-١٠٦ ، والسيرة النبوة لمحمد أبو شهبة ١/٣٤٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ومواقف من حياة رسول الله ﷺ أ. د. محمد ابراهيم الجيوشي ص ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، وفن الدعوة إلى الله في ضوء السنة ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥.

٣- برهنت تلك الهجرة لقريش التي بغت وظلمت على أن المسلمين أتباع محمد ﷺ يقابلون الصعاب بصدر رحب من أجل دينهم ، وأنهم مصممون على التضحية في سبيل الله ، تاركين الأهل والعشيرة والوطن ، مؤثرين ما عند الله تعالى من الجزاء.

٤- فتح آفاق جديدة للدعوة خارج الجزيرة العربية ، الأمر الذي يجعل لها إعلاناً جيداً لدى قبائل العرب خارج مكة ، والسؤال عن هذه الدعوة لمعرفة كنهها وما تدعوا إليه..

٥- كان في خروج الدعوة إلى الحبشة إرهاص بأنها ستخرج إلى العالم الخارجي..

٦- في هذه الخطوة النبوية المباركة دليل أكيد على أهمية التحرك في الوقت المناسب ، خدمة للدعوة ، وحفاظاً على مستقبلها ، وصيانة لأرواح أتباعها خاصة وأن قريشاً قد أطبقت على المسلمين بكل ما تملك من قوة ، أملا في الإجهاز عليها بكاملها.

٧- خروج هذه الفئة من مكة يثير عواطف ذويهم خاصة وأن الذين خرجوا في الهجرة الأولى ، فيهم من علية القوم ، كعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير.. رضي الله عنهم ، فيحسون بفداحة ما قاموا به من تعذيب وتنكيل لهم..

٨- تطلع المهاجرين وحنينهم إلى ديارهم وسرعة حضورهم إلى مكة فور سماعهم دخول أهل مكة الاسلام ، وهذا دليل على أن الهجرة كانت من أجل الفرار بالدين وخوف الفتنة والاضطهاد.

٩- في هجرة المسلمين الى الحبشة إنقاذ للدعوة من أن تجهض في

أيامها الأولى قبل أن يشتد عودها.

١٠- انطلاق صوت الاسلام على أيدي دعاة مؤمنين إلى خارج الجزيرة العربية كسب لا يستهان به..

وهكذا يتضح ما لأسلوب الهجرة من أثر بالغ في نشر الاسلام خارج الجزيرة العربية ، مما يدل على عمومية الدعوة ، وأنها ليست للعرب وحدهم(١).

ب / ذهابه ﷺ إلى الطائف :

لم تكد آثار المقاطعة تنقشع ويعود إلى رسول الله ﷺ قدر أكبر من الحركة والعمل من أجل الدعوة ، حتى توفي عمه وزوجه خديجة رضي الله عنها ، وقد أثر ذلك في نفس رسول الله ﷺ حتى سمي عام الحزن ، وحق له أن يشتد به الحزن لفقدهما ، فقد كان عمه يحميه من عدوان قريش ، ويدافع عنه ، وكانت زوجه تخفف عنه ما يلقاه من عناء أثناء النهار ، من مضايقات أهل مكة.

ولم تلبث قريش أن صعدت من مضايقاتها ، وزادت من إيذائها لرسول الله ﷺ فخرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، ويدعوهم إلى الاسلام ، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، ولما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، فجلس إليهم

---

١) انظر فجر الدعوة الاسلامية ، مرجع سابق ص ١٧٧-١٧٨. ، والأسلوب النبوي في الدعوة ، مرجع سابق ، ص ١٨٤-١٨٥ ، ومباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها وبعض رجالها ، مرجع سابق ص ١٩٠ ، وفن الدعوة إلى الله في ضوء السيرة ، مرجع سابق ص ٢٢٦.

ودعاهم إلى الإسلام ، فردوا عليه رداً قبيحاً ، وأقام الرسول ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام ، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فقالوا اخرج من بلادنا..

وكان ممن قابلهم ثلاثة من أشرافهم ، هم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه..

فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من مناصرتهم له ، وقال لهم "إذا فعلت ما فعلت فاكتموا عني" كراهة أن يبلغ قومه مجيئه لهم ، فيزدادوا إيذاء له ولأصحابه ، ولكنهم لم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل شجرة عنب ، فجلس فيه وأخذ يدعو الله ويلتجيء إليه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فتحركت له رحمهما فبعثا إليه طبقاً فيه عنب وطلبا من غلامهما أن يقدمه له ليأكل ، فبدأ باسم الله مما كان سبباً لسؤاله والحديث معه ، وبالتالي إسلامه..

وعاد رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزوناً ، كسير القلب ، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله له جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال ،

يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين ، فكان جوابه عليه السلام : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(١).

وفي هذا الموقف درس للدعاة ينبغي أن يعملوا به ، ويقتدوا بسيد الدعاة ، وذلك في شفقته على قومه ، ومزيد صبره وحلمه صلوات الله وسلامه عليه ، وعدم يأسه من هداية قومه ، فربما يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً..

ولم يدخل النبي ﷺ مكة إلا بعد أن دخل في جوار المطعم بن عدي ، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب.

ولا شك أن في ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف دليل واضح على تصميم الرسول ﷺ في الاستمرار بدعوته ، وعدم اليأس من استجابة الناس لها ، فها هو يأخذ الخطوة بعد الخطوة في الدعوة ، ويبحث عن ميدان جديد للدعوة خارج مكة ، بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول(٢).

---

١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، في كتاب بدء الخلق ٦/٣٦٠ الحديث رقم ٣٢٣١ ، ومسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٢/١٥٤-١٥٥.. رقم الحديث ١٧٩٤.

٢) انظر تاريخ الطبري ٢/٣٤٤-٣٤٦ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١١-٢١٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٩١-٩٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠-٦٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/١٤٩-١٥٤ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ، ١/٤٠١-٤٠٥ ، والرحيق المختوم مرجع سابق ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ودعوة محمد ﷺ مرجع سابق ص ٩٦-٩٩ ، ومواقف من حياة الرسول ﷺ مرجع سابق ص ١٧٥-١٨١ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ١٥٤-١٥٧.

جـ / عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل :

بعد عودة النبي ﷺ من الطائف إلى مكة بجوار المطعم بن عدي ، استحكمت العداوة بينه وبين قريش أكثر من ذي قبل ، وأصروا على خلافه ، واشتد أذاهم ، وزادت مضايقاتهم له ، ولكن ذلك لم يؤثر في عزمه ، ولم يثنه عن تبليغ رسالة ربه ، باذلا كل الجهود والوسائل والأساليب الممكنة.

وكانت مواسم الحج ومواسم الأسواق قبل الحج وبعده ، فرصة مناسبة للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة ، فلم يدع عليه السلام هذه الفرصة تفوت دون الاستفادة منها ، فأخذ عليه الصلاة والسلام يغشى الناس في أسواقهم وفي تجمعاتهم ، يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم تصديقه ومنعه أذى قومه..

كما كان ﷺ أيضاً لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له إسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.. وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح..

روى الإمام أحمد وغيره ، عن ربيعة بن عباد من بني الديل ، وكان جاهلياً فأسلم قال : «رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ذو غديرتين يقول : إنه

صابيء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسأل عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب(١).

وهكذا استمر الرسول ﷺ يعرض نفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل الوافدين إلى بيت الله الحرام ، يتلو عليهم القرآن ، ويعرض عليهم الإسلام ، ويطلب المناصرة ، كما كان يخرج إلى القبائل العربية في الأسواق وغيرها ، حتى في الطرقات ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه..

فرد بعضهم رداً جميلا ، وأساء بعضهم في الرد ، وقد حفظت كتب السيرة هذه اللقاءات وما دار فيها من حوار بين رسول الله ﷺ وبين رجال هذه القبائل ، وكانت نتيجة هذه المحاولات بيعة العقبة التي أسلم فيها أهل المدينة ، وكانت بداية للهجرة ، وقيام دولة الإسلام في المدينة بعد الهجرة(٢).

ويمكن من هذا الموقف استخلاص العبر التالية :

١- الحرص على إيصال الدعوة لأكبر عدد من الناس ويتضح ذلك من

---

١) مسند الإمام أحمد ٣٤١/٤ ، ٣٤٢ ، ٤٩٢/٣.

٢) انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ١٥٢/٣-١٦٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، مرجع سابق ٩٣/٢-٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٦/١-١١٧ ، مرجع سابق ، وتاريخ الطبري ، مرجع سابق ٣٤٨/٢-٣٥٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١٥٥/٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٦٤/٢ ، ٧٠ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ٤٢٩/١-٤٣٣ ، ومسار الدعوة في عهدها المكي ، مرجع سابق ص ١٨٦ ، وأسباب نجاح الدعوة ، مرجع سابق ص ٣١٨-٣١٩ ، ودعوة محمد ﷺ مرجع سابق ص ٩٩.. والحكمة في الدعوة مرجع سابق ص ١٥٨-١٦٠ ، ومنهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، مرجع سابق ص ٤١٤-٤١٧ ، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ١٧١.

اختياره ﷺ موسم الحج لدعوة القبائل في أثنائه.

٢- قيامه ﷺ بذلك كل عام دليل على دأبه وإصراره على إبلاغ رسالته دون كلل أو ملل.

٣- إن الدعوة ينبغي ألا تبقى حبيسة جدران المساجد ، بل على الداعية أن يسعى بنفسه إلى المدعوين ، ولا ينتظر مجيئهم بل ينتقل هو إليهم وقد وضح ذلك من أنه عليه السلام كان يتبع الحجيج في منازلهم.

٤- إتيانه ﷺ أسواقهم الشعرية مع علمه بما يحدث فيها من أمور مخالفة للدين كالتفاخر بالأحساب والأنساب دليل على أن الداعية لا حرج عليه في النزول إلى أماكن اللهو والباطل كي يدعو أصحابها ، فهم أحوج الناس إلى دعوته..

٥- في تذكيره ﷺ لهم بما ينتظرهم من النعيم المقيم في الجنة إن هم أطاعوه ، وقبل ذلك في الدنيا وأنهم سيصيرون ملوك العرب وقادتهم في ذلك كله ضرورة استصحاب الجزاء عند الدعوة ، سيما إذا كان هذا الجزاء من قبيل الترغيب الذي يدفع الناس ويحمسهم إلى الاستجابة لدعوة الحق.

٦- ضرورة التحمل والصبر ومواصلة الدعوة على الرغم من إعراض الناس وصدودهم عنها ، ويتضح ذلك من أنه ﷺ لم يأبه بإعراض عمه أبو لهب وصده الناس عن دعوته(١).

---

١) مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها وبعض رجالها ، أ/د/ عبدالخالق ابراهيم ص ١٩١-١٩٢.

سابعاً : الانتقال بالدعوة إلى المدينة :

لما وجد النبي ﷺ أن جميع المحاولات التي قام بها لدعوة أهل مكة إلى الاسلام لم تجد قبولا ، بل قوبلت بالرفض والإعراض ، وتبين له إصرار القوم على عداوته ومحاربته طيلة العشر سنوات ، والتي تمثل عمر الدعوة الجهرية ، أخذ يبحث عن قاعدة ، فخرج إلى الطائف وعرض نفسه على القبائل يطلب منهم مناصرته ومنعه من أذى قومه..

وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه ، مر بعقبة منى فوجد بها ستة من شباب يثرب فعرض عليهم الإسلام فأجابوا دعوته ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الاسلام ، حيث ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

وفي الموسم الثاني ، كان اللقاء مع اثني عشر رجلا من الأوس والخزرج ، وكانت بيعة العقبة الأولى ، وبعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ، بناء على طلبهم ، وهكذا بدأ إعداد القاعدة وتهيئة المناخ لانتقال الدعوة.

وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة ، حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وكلهم قد أسلموا ، ثم كانت بيعة العقبة الثانية. ولما اشتد أذى المشركين على من أسلم في مكة ، أمرهم النبي ﷺ بالهجرة الى المدينة المنورة ، وقال : "إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها فخرجوا ارسالا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة ، ولم يبق من أصحابه إلا من فتن وحبسه المشركون ، وكذا أبو بكر وعلي فقد تخلفا معه.

رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد أصبح له أتباع كثيرون وأنصار من أهل المدينة ، يفدونه بأنفسهم وأهليهم ، وأولادهم ، وأن أصحابه من المهاجرين قد أمنوا بدار أمان وعز ومنعة ، بعد أن هاجروا إليها ، اجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره ، وانتهى ذلك بعقدهم العزم على قتله ، فنزل جبريل وأخبره بما كادوه به ، وأن الله قد أذن له في الهجرة إلى المدينة ، وأن لا ينام على فراشه الذي كان يبيت عليه.

فأمر النبي ﷺ علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة ، وبقي المشركون ينظرون إلى علي من صبر الباب ، وخرج رسول الله ﷺ ومر بأبي بكر وهاجرا إلى المدينة.. بعد تمهيد ثابت ، وإعداد محكم ، وتمت تحت تأثير ظروف حتمتها ، وبخطة محكمة ضمنت لها النجاح.. وهذا لا يعتبر جبناً ولا فراراً من الموت ، ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله ، سبحانه وتعالى.

وهذه السياسة الحكيمة ، من أسباب نجاح الدعوة ، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله تعالى ، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم.

وفي هذه المرحلة ، دخلت الدعوة مرحلة جديدة وأخذت تباشر نشاطها بأسلوب جديد ، وبوسائل جديدة ، إذ وجدت لها مركزاً قوياً في مكان بعيد عن أعين أهل مكة ، وقوماً قلوبهم متفتحة إلى الدين الجديد ، وأخذ الاسلام ينتشر بين أهل المدينة ، سواء بين الأوس أو الخزرج ، بل شملت الدعوة قوماً آخرين ، عرباً وغير عرب ، حيث انتقلت الدعوة إلى مرحلتها العالمية..

بعد أن أصبح أمر الدعوة بعد الهجرة في مأمن ، وأصبح لها مقر تنطلق منه(١).

ثامناً : أسلوب تكوين المجتمع الإيماني ، عن طريق بناء المسجد ، والمؤاخاة ، وعقد المعاهدة :

بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة ، قام عليه السلام بإرساء قواعد المجتمع الجديد ، وتأمين السلام لهذا المجتمع ، من اعتداء المعتدين ، وكيد الكائدين ، من يهود ومشركين ، وذلك على النحو الآتي :

أ - بناء المسجد :

لقد كان أول عمل يقوم به الرسول ﷺ عند وصوله إلى المدينة بناء المسجد في جميع الأماكن التي أقام بها ، فأقام مسجد قباء حين أقام فيها وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف بين قباء والمدينة ، في بطن وادي رانوناء ، فلما وصل المدينة كان أول عمل قام به في الاصلاح والتأسيس

---

١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٧/١-٢٢٩ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٩٤/٢-١٠٥ ، وتاريخ الطبري ٣٥١/٢-٣٨٣ ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ص ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، والسيرة النبوة لابن هشام ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، وزاد المعاد ص ٤٥-٥٢ ، والسيرة النبوة لمحمد أبو شهبة ، ٤٥٧/١ ، ٤٥٨ ، وص ٤٧٠ ، ٤٧٧ ، ومسار الدعوة في عهدها المكي ، مرجع سابق ص ٢٠٠ ، ٢١٧ ، وفجر الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ص ٣٢٩ ، والحكمة في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ص ١٥٨-١٦١ ، والأسلوب النبوي في الدعوة ، مرجع سابق ص ٢٥٣ ، والدعوة في عهدها المكي ، لرؤوف شلبي ، مرجع سابق ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، وأسباب نجاح الدعوة ، مرجع سابق ص ٣٢١-٣٢٥.

بناء المسجد النبوي ، لتظهر فيه شعائر الاسلام التي طالما حوربت ، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين..

واشترك المسلمون جميعاً في البناء ، وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ ، وكان أول عمل تعاوني عام وحد بين القلوب ، وأظهر الهدف العام للعمل ، فتجمعوا بعد أن كانوا متفرقين ، ولكل منهم مكان يلتقون به ، وأصبحوا تحت قيادة واحدة ، وصار المسجد مركزاً لأصحابه يجتمع بهم فيه ويصلي بهم ، وجامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الاسلام وتوجيهاته ، ويجتمعون فيه ، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة ، التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية ، وحروبها ، وقاعدة لادارة جميع الشؤون الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية في المدينة المنورة.

ومن هنا كان اهتمام الرسول ﷺ بإقامة المسجد ليكون الزاوية الأولى في إقامة المجتمع الجديد(١) ، فتشتد الروابط وتقوى أواصر المحبة ، فيزداد المسلمون علماً يوماً بعد يوم ، نظراً لوجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم ، يتلو عليهم ما ينزل من ربه ، فتقوى صلتهم بالله ، ويقينهم به.

---

١) انظر : السيرة النبوية لابن كثير ٢٦٧/٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٣٩/٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ومواقف من حياة محمد ﷺ مرجع سابق ص ٢٦٢-٢٦٣ ، والسيرة النبوية دروس وعبر ، د/ مصطفى السباعي ص ٧٧-٧٨ ، وفتح الباري ٢٨٨/٧-٢٨٩ ، وزاد المعاد ٦٢/٣-٦٣ ، وفقه السيرة للبوطي ص ١٨٩ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ٣٠/٢ ، والسيرة النبوية للندوي ص ٢٢٠-٢٢٣ ، وفقه السيرة للغزالي ص ١٨٩ ، والرحيق المختوم ص ٢٠٥-٢٠٦ ، ودعوة محمد مرجع سابق ، ص ١٢٠-١٢٢ ، ومنهج الرسل الكرام ، والدعوة في القرآن ، مرجع سابق ص ٣٦٢.

ب - المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين :

بعد قيام النبي ﷺ ببناء المسجد ليكون اللبنة الأولى في إقامة المجتمع الإسلامي الجديد ، ألهمه الله بعمل يعتبر غاية في حسن السياسة وأصالة الرأي ، وبعد النظر ، كخطوة ثانية في إرساء قواعد المجتمع الإسلامي ، فكانت عملية المؤاخاة والتي استمر يجددها ، بحسب من يدخل في الاسلام أو يحضر الى المدينة.. وذلك لتأليف القلوب ، وجمع الشمل ، وتوثيق العرى فيما بين المسلمين ، وأيضاً لقطع دسائس الأعداء ، ولا سيما اليهود.

فقد آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام ، إلى حين وقعة بدر ، فلما نزل قوله عز وجل : ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾(١) ، رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

وقد كانت هذه المؤاخاة عاملا مهماً من عوامل نجاح الدعوة الاسلامية ، حيث تكون من المهاجرين والأنصار كتلة واحدة مندمجة ، وأذابت عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للاسلام ، وأسقطت فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه ، ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

---

١) الاحزاب ، الآية : ٦٦.

وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية.. كما تتجلى فيها حكمة فذة ، وسياسة صائبة ، وحلا رائعاً لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون(١).

جـ - عقد المعاهـــدة :

بعد قيام النبي ﷺ ببناء المسجد النبوي ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كخطوتين أساسيتين في إرساء قواعد المجتمع الإسلامي.. شرع في استكمال تنظيم الأوضاع في المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة المنورة ، وتنظيم علاقة المسلمين بمن حولهم من اليهود ، حفاظاً على الصف الداخلي ، وحرصاً على بقاء جو المدينة هادئاً بعيداً عن النزعات الداخلية ، فعقد معاهدة تدل على الحنكة السياسية ، والقدرة الفائقة على حل المشاكل ، أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية ، والنزعات القبلية ، ولم يترك مجالا لتقاليد الجاهلية..

وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقاً للمهاجرين والأنصار ، متضمناً موادعة اليهود في المدينة ، وهذا من أبرز الجهود التي بذلها

---

١) انظر : فتح الباري كتاب مناقب الانصار ، باب كيف آخى الرسول ﷺ بين أصحابه ، وكتاب التفسير باب : ولكل جعلنا موالي ، الحديث ، رقم ٣٩٣٧ ، ولحديث رقم ٤٥٨٠ ، ٣١٨/٧ ، ٩٦/٨-٩٧ ، وزاد المعاد مرجع سابق ، ٦٣/٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٥٠/٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٢٤/٢ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ، ٤٩/٢-٥١ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ١٦٥-١٦٧ ، ودعوة محمد ﷺ مرجع سابق ص ١٢٣-١٢٥ ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، أحمد محمد عبيد رسالة دكتوراة غير منشورة ، ص ٣٦٢. مرجع سابق .

الرسول ﷺ في الإصلاح والتأسيس..

قال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم.

وقد ربط هذا الميثاق بين جميع المسلمين في المدينة ، وبين اليهود ، فأصبحوا كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد المدينة بسوء.. فاستقرت الأوضاع ، ووجد المسلمون متسعاً لتجديد قواهم ، وترتيب شؤونهم.

إن إمعان النظر في هذا الكتاب ، يبين دقته وشموله في تناول جميع القضايا الأمنية والتكافلية ، لضبط نظام الأمور وتسيير دفتها ، وبيان المسؤول عن مراقبتها وتطبيقها..

ومن أهم المباديء التي اشتمل عليها ما يلي :

١- أن جماع السلطة كله بيد الرسول ﷺ.

٢- أن المدينة بلد حرام.

٣- التكافل الاجتماعي : حيث تقوم كل طائفة بدفع الدية لمن قتل خطأ وتفك من وقع منها في الأسر وتساعد المثقل بالدين وكثير العيال..

٤- التنظيم الاجتماعي : فقد أصبح المؤمنين المهاجرون والأنصار أمة واحدة كما جعل يهود كل قبيلة تبعاً لها ، وكذلك موالي كل قبيلة تبعاً لها.

٥- الأمن من الجرائم حيث كلف الجميع بـ :

- عدم مناصرة المحدث أو إويائه.
- المجتمع كله يقوم ضد الباغي ولو كان ولد أحدهم.

- القاتل عمداً يقتل إلا أن يرضى أولياؤه الدية.
- مناصرة المظلوم واجب على الجميع.

٦- أمن المدينة ويكون ذلك بـ :

- مشاركة جميع أهل المدينة ومناصرتهم بعضهم بعضاً على من دهمها.
- أن عليهم جميعاً النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- مشاركة اليهود للمؤمنين في الانفاق في حالة الحرب.

٧- قريش تعد العدو البارز على مسرح الأحداث ولهذا :

- لا تجار قريش ولا من ينصرها.
- لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.

تلك هي الخطوط العامة في هذه الوثيقة.

وعلى كل ، فما هذه الخطوات الثلاث ، من بناء المسجد ، والمؤاخاة ، وعقد المعاهدة ، إلا سياسة حكيمة حل بها النبي ﷺ بفضل الله تعالى الخلاف المستحكم بين سكان المدينة ، وأزال بها جميع آثار الماضي ، ووحد بها قلوب المسلمين ، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة ، ومن ثم انتشر هذا النظام والدعوة إلى الله ، من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم(١).

---

١) انظر السيرة النبوية لابن كثير مرجع سابق ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ، وزاد المعاد ، مرجع سابق ٦٥/٣ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ، مرجع سابق ٥٧/٢ ، والرحيق المختوم ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ومواقف من حياة محمد ﷺ مرجع سابق ص ٢٧٥ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ١٧١-١٧٢ ، وفقه السيرة للغزالي ص ١٩٩ ، والسيرة النبوية تربية أمة للشامي ص ١٤٣-١٤٤ ، ودعوة محمد ﷺ مرجع سابق ص ١٣٢-١٣٤.

تاسعاً : أسلوب الجهاد في سبيل الله :

بعد أن أرسى النبي ﷺ دعائم التأسيس والاصلاح في المجتمع الاسلامي الجديد في المدينة المنورة ، انتقل إلى أسلوب آخر لتأمين هذا المجتمع وحمايته من العدوان الخارجي ، عن طريق الجهاد في سبيل الله..

يقول ابن القيم رحمه الله : فلما استقر رسول الله ﷺ في المدينة وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، فمنعته أنصار الله وكتيبة الاسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو ، والصفح ، حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن الله لهم في القتال ، ولم يفرضه عليهم.

وقد سلك الاسلام مسلك التدرج في الأخذ بالقتال ، كأسلوب يزيح العقبات عن طريق الدعوة ، وذلك على النحو التالي :

١- الإذن للمسلمين بالجهاد للدفاع عن النفس برد العدوان من غير إلزامهم به وفرضه عليهم كما في قوله تعالى : **﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾**(١).

٢- الانتقال من الاذن إلى الفرض بقتال من قاتلهم من الناس دون من لم يقاتلهم كما في قوله تعالى : **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا**

---

١) سورة الحج ، الآية : ٣٩.

تعتدوا إنَّ الله لا يحب المعتدين﴾(١).

٣- الأمر بقتال المشركين كافة سواء منهم من قاتل المسلمين ومن لم يقاتلهم كما في قوله تعالى : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾(٢).

وقد لخص ابن القيم هذه المراحل السابقة فقال : «لما قويت الشوكة واشتد الجناح ، أذن لهم في القتال ولم يفرض عليهم ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به ، لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين.. إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور.

وهكذا تدرج الشرع معهم في التكليف بالجهاد مراعياً مرحلة القوة وتدرجهم فيها ، فشرع لهم من الأحكام ما يناسب كل مرتبة من مراتب قوتهم ، حتى إذا اكتملت قوتهم المادية وأصبح في إمكانهم المواجهة العامة أوجب عليهم قتال المشركين كافة(٣).

---

١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٠.

٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٦.

٣) انظر : زاد المعاد مرجع سابق ٣/٦٩-٧١ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ٥٢٥-٥٢٦ ، والسيرة النبوية لمحمد أبو شهبة مرجع سابق ، ٢/٨٧-٨٨ ، وأسباب نجاح الدعوة ، مرجع سابق ص ٢٣٠-٢٣١ ، ومن وسائل الدعوة في العهد المدني د/ محمد ابراهيم الجيوشي ، ص ٦٨ ، ووحدة الأمة الاسلامية على أسس صحيحة وواقعية ، د/ زكريا عبدالرزاق المصري ، ص ١٥٧ ، والدعوة الاسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، د/ حسني محمد ابراهيم غيطاس ، ص ٦٨ ، والرحيق المختوم ، مرجع سابق ص ٢١٧.

عاشراً : نشر الدعوة عن طريق إرسال الرسل والمكاتبات :

بعقد الرسول ﷺ معاهدة الصلح في الحديبية مع قريش ، والقضاء التام على خطر اليهود ، هدأت الأحوال ، ووجدت الدعوة الإسلامية متنفساً ومجالا للتقدم في نشر الدعوة حيث أمنت جانب هؤلاء ، ولم تعد هناك قوة بالحجاز يخشاها المسلمون ، ووجد الرسول ﷺ الفرصة سانحة لتبليغ رسالة الإسلام للناس جميعاً ، عربهم وعجمهم ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾(١) . وقوله تعالى : ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾(٣).

بدأ عليه الصلاة والسلام بالاتصال بالملوك ورؤساء القبائل خارج الجزيرة العربية وداخلها ، من عرب وعجم ، يدعوهم إلى الإسلام لإدراكه ﷺ مدى تأثير هؤلاء في أتباعهم في الغالب.. فالناس تبع لملوكهم ، وبهذا يكون الرسول ﷺ قد سلك أقصر الطرق لتبليغ الدعوة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإرسال الرسل يسهم في التعريف في الإسلام على

---

١) سورة سبأ ، الآية : ٢٨.

٢) الفرقان ، الآية : ١.

٣) الأعراف ، الآية : ١٥٨.

مستوى دولي.

ولما أراد ﷺ مراسلتهم قيل له إنهم لا يقرأون كتاباً ولا يهتمون به إلا إذا كان مختوماً ، فصنع خاتماً من فضة نقش عليه [محمد رسول الله].

وأخذ يرسل الكتب مختومة إلى الملوك والرؤساء ، واختار لكل واحد منهم رسولا يليق به ، ويعرف لغته ، وبلاده من أصحابه رضي الله عنهم ، يرغبهم فيه بالاسلام ، ويرهبهم من العقاب في حالة عدم الاستجابة..

ولقد حقق هذا النوع من الأساليب عدة أهداف أهمها :

١- إشعار العرب والعجم وغيرهم أن الإسلام ليس خاصاً بالعرب وحدهم ولكنه عام لجميع الناس.

٢- قبول هذه الدعوة والترحيب بها من قبل بعض الأمراء والملوك الموجهة إليهم كما فعل المقوقس والنجاشي ، وإن كان البعض رفضها وأساء الرد على صاحبها كما فعل كسرى..

٣- إفادة الدعاة بأن عليهم أن يقوموا أولا بمسؤولية الدعوة فيما بينهم وأن يصلحوا من أنفسهم حتى إذا قطعوا من ذلك شوطاً كبيراً وفرغوا من تطبيق الاسلام على حياتهم وسلوكهم ، آن لهم أن يقوموا بهذا الواجب الثاني..

وقد كان النبي ﷺ قادراً أن يرسل عدداً من أصحابه إلى هؤلاء الرؤساء والملوك قبل هذا التاريخ بكثير ، غير أن ذلك ينطوي على الاخلال بهذا الواجب الذي ذكرناه.. وينبغي أن نعلم أن إصلاح المسلمين أنفسهم هو بنفسه جزء عظيم من دعوة غيرهم إلى الاسلام ، فالناس كانوا ولا يزالون يبحثون عن المثل الصالح في السلوك والخلق

ليقتفوا أثره ويتبعوه..

وقد ثبت في الصحيحين ، عنه ﷺ أنه كتب إلى هرقل «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، و «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»(١).

إن المتأمل في هذا الكتاب يتضح له بجلاء استخدام الرسول ﷺ للتدرج في دعوته لهرقل ، كما يتضح من الآتي :

١- بدء رسالته ببسم الله الرحمن الرحيم مع ذكر كونه رسولا.

٢- مخاطبته لهرقل بالاحترام بقوله عظيم الروم ، استمالة له بإنزاله منزلته وإعطائه المكانة اللائقة به بين قومه ، وليعلم أن الدين الاسلامي لا يهضم الناس حقوقهم وأنه ما جاء لينتزع سلطاناً من أحد ولكن جاء ليمنح الناس سعادة الدنيا والآخرة.

٣- دعاه إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ورغبه فيه نظراً لما ينال من الأجر المضاعف.

٤- استخدم معه أسلوب الترهيب إن لم يسلم فحمله إثمه وإثم الأريسيين إذ أنه رئيسهم فهم يتبعونه أو على الأقل في حالة عدم إسلامه يقيد حريتهم

---

١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤.. وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ٤٣/١ الحديث رقم ٧ ، وزاد المعاد لابن القيم مرجع سابق ٦٨٨/٣.

في اعتناق الاسلام.

٥- دعاه بالحكمة لامالة قلبه إلى ما يعرفه حيث بين له أن الشيء الذي يدعوه اليه ليس بشيء غريب أو جديد على أهل الكتاب ، بل إنه أمر واحد سواء بينهم وبين المسلمين ، إن تحروا الحق ، وهو عبادة الله وحده فقط ، وعدم الشرك به ، باتخاذ الأرباب من الناس دون الله(١).

وهكذا تدرج النبي ﷺ في دعوته ، ولا شك أن لهذا التدرج آثار عظيمة ، ونتائج طيبة ، لأنه من أقوى العوامل المؤثرة في النفوس ويلاقي قبولا في النفس ، وإذعاناً من القلوب.

وعلى كل ، فمن أهم الآثار المترتبة على هذا التدرج ما يلي:

---

١) انظر فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري ، مرجع سابق كتاب بدء الوحي الحديث رقم ٧ ، ٤٣/١-٥٩ وكتاب الجهاد والسير ، الحديث رقم ٢٩٣٦ ، ٢٩٤١ ، ج ٦ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، وزاد المعاد لابن القيم ، مرجع سابق ٦٨٨/٣ ، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، لمحمد أبو شهبة ، مرجع سابق ، ٢٥٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٣٦٥ ، فقه السيرة للبوطي ٣٤٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والسيرة النبوية للندوي ص ٣٢٣-٣٢٥ ، والدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مرجع سابق ص ٤٥-٤٦ ، ومباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها وبعض رجالها ، مرجع سابق ص ١٩١ ، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص ٤٩ ، ومواقف من حياة رسول الله ﷺ مرجع سابق ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، والأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم د/ محمد محمود أحمد سيد ابات الطلاب ص ٦٥ ، والسيرة النبوية تربية امة وبناء دولة ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، والأسلوب النبوي في الدعوة ، مرجع سابق ص ٣٥١ ، ١٥٤ ، ٣٩٨ ، ٤١٥ ، وأساليب الدعوة في العهد النبوي لعبدالحكيم عبدالسلام ، رسالة غير منشورة ، ص ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، والرحيق المختوم ، المرجع السابق ص ٣٩١ ، ودعوة محمد ﷺ مرجع سابق ص ١٨٦.

١- مراعاة الظروف التي تحيط بالدعوة أمر يجب أن يضعه الدعاة نصب أعينهم لكي يختاروا من الأساليب ما يتفق مع تلك الظروف.

٢- إعطاء الدعاة درساً عملياً باستخدام أسلوب التدرج مع تحديد مركز الانطلاق بدقة وثقة تامة ، وبخاصة في أول خطوات سير الدعوة ليعدوا لها أرضاً صلبة تستيطع الوقوف عليها في كفاحها ونضالها لئلا يقضى عليها في مهدها فتموت.

٣- إعداد الدعاة وتعهدهم بالتربية والتعليم المستمر وتدريبهم على تحمل الأذى والاضطهاد في سبيل الله والصبر وعدم الرد وأن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن..

٤- إرشاد الدعاة إلى الأخذ بالحيطة والحذر والأسباب الظاهرة والوسائل الموضوعية التي تتخذ من أجل الوصول الى غايات الدعوة وأهدافها.

٥- أن على الداعية أن يبدأ بإصلاح نفسه أولا ثم الأقربين له ثم ينتقل إلى دعوة الأخرين ، لأن إصلاح الداعية نفسه جزء عظيم من دعوة غيره إلى الاسلام.. فالناس كانوا ولا يزالون يبحثون عن المثل الصالح في السلوك والخلق..

٦- دراسة الداعية لأوضاع مجتمعه وبيئته بدقة قبل ان يدعوهم للاستفادة منها في الدعوة.

٧- أن يحرص الداعية على سلامة أصحابه حماة الدعوة والصادعين بها ولا يعرضهم للخطر.

٨- أن يحرص الداعية على الاستفادة من أي فرصة مواتية لنشر

الإسلامي وتبليغه بأن يتحرك في الوقت المناسب.

٩- انطلاق صوت المسلمين على أيدي دعاة مؤمنين إلى خارج الجزيرة كسب لا يستهان به.

١٠- أن يحرص الداعية على الاستمرار بالدعوة خطوة بعد أخرى ولا ييأس مهما لاقى من صعاب في سبيل نشرها.

١١- إذا لم يستطع الداعية أن ينشر الدعوة في بلدته عليه أن يبحث عن ميدان جديد للدعوة عله يستطيع نشرها فيه.

١٢- أن يحرص الداعية على إيصال الدعوة لأكبر عدد من الناس.

١٣- أن الدعوة لا ينبغي أن تكون حبيسة داخل جدران المساجد بل على الداعية أن يسعى بنفسه إلى المدعوين ولا ينتظر مجيئهم بل ينتقل هو إليهم..

١٤- أنه لا حرج على الداعية في النزول إلى أماكن اللهو والباطل كي يدعو أصحابها فهم أحوج الناس إلى دعوته..

١٥- ضرورة استصحاب الجزاء عند الدعوة لا سيما إذا كان هذا من قبيل الترغيب الذي يدفع الناس ويحمسهم إلى الاستجابة لدعوة الإسلام.

١٦- ضرورة التحمل والصبر ومواصلة الدعوة على الرغم من إعراض الناس وصدودهم عنها.

١٧- على الداعية أن يعمل على كل ما من شأنه إرساء قواعد المجتمع الإسلامي وتوحيد جهوده.

١٨- استخدام أسلوب الجهاد لنشر الدعوة إذا لم تجد كل الوسائل والأساليب السلمية في نشره وتبليغه.

المبحث الثالث

التـــــدرج في الخطاب وفي التربية

أولا : في مخاطبة المؤمنين.
ثانياً : في مخاطبة أهل الكتاب .
ثالثاً : في مخاطبة المشركين.
رابعاً : في التربية.

❑❑❑

أولا : التدرج في مخاطبة المؤمنين

بتأمل الآيات التي جاء فيها مخاطبة المؤمنين بـ ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ (١) ، في القرآن الكريم ، يتضح أسلوب التدرج في مخاطبة المؤمنين على النحو التالي:

١- مناداتهم من الله عز وجل وعزوهم إلى الإيمان لاستجاشة قلوب المؤمنين من جهة ، وتذكيرهم بأن الايمان يقتضي من صاحبه أن يتلقى أوامر الله تعالى ونواهيه بحسن الطاعة والامتثال.

٢- إرشادهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم أمراً أو نهياً في معظم ميادين الحياة بأسلوب معجز أخاذ تتجلى فيه الدقة العجيبة في الصياغة بحيث لا يبدل لفظ بلفظ ولا يقدم نص أو يؤخر عن موضعه.

وسأستعرض بعض الأمثلة لإيضاح التدرج في مخاطبة المؤمنين وذلك على النحو التالي لأنه كما يقال بالمثال يتضح المقال.

---

١) البقرة ، الآيات : ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، وآل عمران الآيات : ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ٢٠٠ ، والنساء ، الآيات : ١٩ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٩٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، والمائدة الآيات : ١، ٢ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ٣٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، والأنفال الآيات : ١٥ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٥ ، والتوبة ، الآيات : ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، والحج ، آية : ٧٧ ، والنور الآيات : ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، والاحزاب ، الآيات : ٩ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، والاحقاف ، الآيات : ٧ ، ٣٣ ، والحجرات ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، والحديد الآية : ٢٨ ، والمجادلة الآيات : ٩ ، ١١ ، ١٢ ، والحشر آية ١٨ ، والممتحنة الآيات ، ١ ، ١٠ ، ١٢ ، والصف ، الآيات : ٢ ، ١٠ ، ١٤ ، والجمعة الآية ٩ ، والمنافقون آية ٩ ، والتغابن آية ١٤ ، والتحريم آية ٦ ، ٨.

أ- بتأمل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾(١) يتضح التدرج في مخاطبة المؤمنين على النحو الآتي:

١- ينادي الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أولا بالصفة التي تميزهم والتي تربطهم بربهم ونبيهم وتستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية لأوامر الله ونواهيه.

٢- بعد أن ناداهم الله بهذه الصفة المحببة إلى نفوسهم نهاهم عن مخاطبة النبي ﷺ بكلمة [راعنا] لأن في المخاطبة بهذا جفاء ولما تدل عليه صيغة المفاعلة إذ كأنهم يقولون راعنا نراعك وهذا لا يليق أن يخاطب به النبي ﷺ.

٣- بعد أن ناداهم بأحب الصفات إليهم ونهاهم عن مخاطبة النبي ﷺ بمالا يليق أمرهم بأن يخاطبوه ﷺ بالإجلال بحيث يتخيروا من الألفاظ أحسنها ، ومن المعاني أرقها ، وأرشدهم تعالى إلى كلمة سليمة من كل شبهة تنافي الأدب وهي كلمة [انظرنا].

٤- بعد أن ناداهم الله سبحانه بالصفة المحببة إليهم ونهاهم وأمرهم حضهم على السمع الذي في ضمنه الطاعة وأعلم أن لمن خالف أمره فكفر عذاباً أليماً.

ب - قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن

---

١) البقرة ، الآية : ١٠٤.

الله مع الصابرين﴾(١).

بتأمل هذه الآية الكريمة يظهر أسلوب التدرج في مخاطبة المؤمنين فيما يلي:

١- نادى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بهذه الصفة المحببة إلى نفوسهم.

٢- بعد أن ناداهم الله بهذه الصفة المحببة إليهم ، أمرهم سبحانه وتعالى بأن يستعينوا على أمور دنياهم وآخرتهم بالصبر والصلاة ، فبالصبر ينالون كل فضيلة وبالصلاة ينهون عن كل رذيلة ، ثم أعلمهم أن الله مع الصابرين ، يمدهم بالعون والقوة.

هكذا كان التدرج في مخاطبة المؤمنين بعزوهم إلى الايمان أولا ثم إرشادهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة أمراً أو نهياً(٢).

ثانياً : التدرج في مخاطبة أهل الكتاب :

بتأمل الآيات القرآنية التي خاطب الله سبحانه وتعالى فيها اليهود والنصارى ، على لسان نبيه ﷺ يتضح أنها قد تميزت بوصفهم بأهل الكتاب ، كما تميزت مخاطبة اليهود وحدهم ببني إسرائيل ، اهتماماً بهم لأنهم أقدم

---

١) البقرة ، الآية : ١٥٣.

٢) انظر الجامع لاحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الانصاري ، القرطبي ٢/١٧١-١٧٢ ، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ١/١٠٦ ، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري ١/١١١ ، ومنهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم لأحمد محمد عبيد ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ص ٧٥.

الشعوب الحاملة للكتب السماوية ، وذلك لاستمالة قلوبهم لقبول الاسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والرسل ، ولكن غالبية أهل الكتاب لم يقابلوا هذا التمييز والوصف بالقبول الحسن ، والامتثال ، وإنما قابلوه بالكفر والجحود الذي أنبهم الله عليه في كثير من الآيات..

والمتتبع لأساليب القرآن الكريم في خطابهم يلاحظ تنوع أسلوبه في مخاطبتهم ، فتارة بالملاطفة ، والملاينة ، وتارة بالتخويف والشدة ، وأحياناً بالتذكير بالنعم ، وطوراً بتعداد جرائمهم وقبائحهم ، وتوبيخهم على أعمالهم ، وإقامة الحجة عليهم.

ولبيان تدرج القرآن الكريم في مخاطبة أهل الكتاب سوف استعرض الآيات التالية لبيان أسلوب التدرج من خلالها :

قال تعالى : **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾**(١).

يبرز أسلوب التدرج في هذه الآيات الكريمة من خلال النقاط التالية:

١- استخدام الأسلوب العاطفي حيث ناداهم المولى عز وجل بوصف محبب إليهم وذلك بنسبتهم إلى جدهم إسرائيل وذلك بقوله ﴿يا بني إسرائيل﴾. وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، لأن كلمة

---

١) البقرة ، الآيات : ٤٠-٤٣.

إسرا باللغة العبرانية تعني عبد ، وكلمة إيل : الله ، فمعناه عبد الله ، وقيل : صفوة الله..

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الاية : يقول تعالى آمراً بني اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ومهيجاً لهم بذكر أبيهم اسرائيل ، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ، يا بني العبد الصالح المطيع لله ، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق ، كما تقول يا ابن الكريم افعل كذا ويا ابن الشجاع بارز الأبطال ، ويا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك.. لأن الطبائع تميل إلى اقتفاء أثر الآباء وإن لم يكن محموداً فكيف إذا كان محموداً ويستعمل مثل هذا في مقام الترغيب والترهيب ، بناء على أن الحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة ، أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ..

ولا شك أن مخاطبتهم على هذا النحو فيها تشريف لهم وتكريم يستدعي لين قلوبهم ، ومودة أفئدتهم ، واستجابتهم لدعوة منادي الايمان ، وعدم الاعراض عنها ، والوقوف في وجهها.

٢- انتقل بعد هذا النداء المحبب إلى نفوسهم إلى تذكيرهم بنعم الله مستخدماً أسلوب الطلب الصريح ﴿اذكروا﴾ ، والمراد ذكرها بالقلب اعترافاً وباللسان ثناء وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه الله ويرضاه ، وهذا التذكير بالنعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

٣- طالبهم بالوفاء بالعهد مستخدماً أسلوب الطلب الصريح ، بقوله ﴿أوفوا بعهدي..﴾.

قال ابن جرير : والصواب عندنا من القول في هذا الموضع عهد الله

وصيته التي أخذ على بني اسرائيل في التوراة أن يبينوا الناس أمر محمد ﷺ أنه رسول الله ﷺ وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنه نبي الله وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله ، ﴿أوف بعهدكم﴾ ، وعهده إياهم أنهم إن فعلوا ذلك أدخلهم الجنة..

٤- انتقل من الترغيب إلى الترهيب قائلا لهم ﴿وإياي فارهبون﴾ أي فاخشوني ولا تخافوا أحداً غيري..

٥- طالبهم بالإيمان بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ والمصدق لما معهم من التوراة الصحيحة غير المحرفة والانجيل الصحيح الذي لم يبدل فيه شيء ولم يحرف أو يغير ، وفي تصديقهم بالقرآن تصديق للتوراة التي معهم ، وتكذيبهم له تكذيب للتوراة والانجيل..

٦- بعد أن طالبهم بالايمان نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر مستخدماً أسلوب النهي الصريح ، فقال : ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي لا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ بعد سماعكم بنعمته.. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله ﴿به﴾ عائد على القرآن ، الذي تقدم ذكره في قوله ﴿بما أنزلت﴾ ، وقال ابن كثير : وكلا القولين صحيح لأنهما متلازمان لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن.

٧- نهاهم بألا يعتاضوا عن الإيمان بآيات الله وتصديق رسوله ﷺ بالدنيا ، فإنها قليلة فانية ، مستخدماً أسلوب النهي ، حيث قال ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا﴾ أي لا تستبدلوا بآياتي البينات عوضاً قليلا..

٨- استخدم أسلوب الترهيب في قوله ﴿وإياي فاتقون﴾ أي وخافوا عقابي

وفي هذا وعيد لهم بكتمهم صفات النبي ﷺ وعدم تصديقهم به مع معرفتهم التامة به

٩- نهاهم أيضاً عن خلط الحق المنزل من الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بالباطل الذي يخترعونه ويفترونه وذلك بقوله ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ أن ذلك حق أو حال كونكم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المقضي بهم الى النار.

١٠- طالبهم بإقامة الصلاة المفروضة وتأدية زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم وأن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ مستخدماً أسلوب الطلب وذلك في قوله ﴿وأقيموا الصلوا وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾. وعلى كل ، فإن المتأمل في الآيات القرآنية التي تناولت دعوة أهل الكتاب ومخاطبتهم قد جاءت بأسلوب لين حكيم يقوم على إقناع العقول واطمئنان القلوب وإقامة الحجة بإظهار خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ(١).

---

١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/١٥٠-١٥١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٢٢-١٢٥ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبدالرحمن السعدي ١/٥٥-٥٧ ، والتفسير المنير لوهبه الزحيلي ١/١٤٩-١٥٠ ، وتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ١/٢٨٩-٢٩١ ، وتفسير الفخر الرازي ٣/٢٩-٤٤ ، وتفسير المراغي ١/٩٩-١٠٣، والتفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ١/٣٠ ، وروح المعاني للألوسي ١/٢٤١-٢٤٧ ، والفتوحات بتوضيح تفسير الجلالين ١/٤٤ ، وايسر التفاسير للجزائري ١/٧٨ ، مرجع سابق ١٨١ ، ومباحث في الدعوة مناهجها وأساليبها مرجع سابق ص ١٣٧-١٦٩ ، والأسلوب النبوي في الدعوة للهجاري مرجع سابق ص ٢٩٥-٢٩٩ ، ومنهج القرآن في دعوة أهل الكتاب لحمود أحمد الرحيلي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٣هـ ص ٣٢٦-٣٣٣-٣٨٤-٣٨٦.

ثالثاً : التدرج في مخاطبة المشركين :

لقد خاطب القرآن المشركين عن طريق مخاطبة العقل فيهم ودعوتهم للمشاهدة والنظر في خلق الله وعظيم صنعه ، وفتح لهم باب الحوار ليتضح الحق أمامهم ، ويدحض حججهم ويدعوهم إلى التوحيد الخالص . مستخدماً أسلوب المواجهة الصريحة في كشف بطلان العقائد والمقولات الباطلة للمشركين.. وذلك باتباع الأمور التالية :

أولا : تذكير الناس بنعم الله عليهم كقوله تعالى ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾(١).

وفي هذا التذكير ترقيق للقلوب واستمالة للعقول والنفوس ، وإبراز لحقيقة هامة وهي أن الإنسان مفتقر إلى خالقه سبحانه مهما بلغ من مكانة ورقي..

ولقد سلك القرآن الكريم في تذكيره بالنعم أساليب شتى وفقاً لطبيعة المخاطبين ، ومدى استجابتهم لما يلقى عليهم ، ومنها:

- تقرير النعم عن طريق الاستفهام التقريري كما في قوله تعالى : ﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً * وبنينا فوقكم سبعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهاجاً * وأنزلنا من المعصرات ماءً**

---

١) سورة النحل ، الآية : ٧٨.

ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً﴾(١)..

o نفي وإنكار وجود إله آخر يأتي بتلك النعم وذلك عن طريق الاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾(٢).

o توبيخ المشركين عن طريق الاستفهام التوبيخي كما في قوله تعالى ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾(٣).

o تحدى الشركاء أن يأتوا بشيء من تلك النعم ، كما في قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾(٤).

ثانياً : الدعوة إلى التأمل في الآفاق وفي النفس وفي آيات الكون الشاهدة بوحدانية الخالق سبحانه.. وقد استخدم القرآن في ذلك أساليب شتى..

فتارة يدعو الإنسان إلى أن يتفكر في نفسه ويستكشف ذاته وأسرارها كقوله تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(٥).. وقوله ﴿فلينظر الإنسان

---

١) النبأ الآية : ٦-١٦.

٢) الأنعام ، الآية : ٤٦.

٣) الأنعام ، الآية : ٦٣-٦٤.

٤) الروم ، الآية : ٤٠.

٥) الذاريات ، الآية ٢١.

مما خلق﴾(١).

وتارة أخرى يوجه الأنظار إلى البيئة المحيطة بهؤلاء المشركين ويلفت أنظارهم إلى الأشياء الملاصقة لهم والتي ينتفعون بها على الدوام، كقوله **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت﴾(٢).**

وتارة ثالثة يستخدم أسلوب القسم ببعض الظواهر الكونية تأكيداً لأهميتها وإبرازاً لحقيقة هامة وهي أنها مخلوقة لإله قادر حكيم كقوله تعالى **﴿والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها﴾(٣).**

ثالثاً : استخدام الأسلوب العقلي في محاورة المشركين لإثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى بالمنطق والحجة والبرهان، كما في قوله تعالى **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾(٤).**

وقوله تعالى : **﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات وألأرض بل لا يوقنون﴾(٥).**

---

١) الطارق، الآية : ٥.

٢) الغاشية، الآية : ١٧-٢٠.

٣) الشمس، الآيات : ١-٧.

٤) المؤمنون، الآية : ٩١-٩٢.

٥) الطور، الآية : ٣٥.

وقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾(١).

رابعاً : ضرب الأمثال ، لتأصيل التوحيد في النفوس وتقريب تلك الفكرة إلى أذهان السامعين وخاصة إذا كان المثل منتزعاً من بيئتهم وحياتهم التي يعيشونها ، كقوله تعالى : ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾(٢).

خامساً : عرض نماذج من قصص السابقين وما حل بهم من هلال وذلك تحذيراً للمشركين من أن يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء كي لا يصيبهم ما أصابهم وفي ذلك يقول تعالى : ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهـــــم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾(٣).

سادساً : التأكيد على ضعف وعجز جميع المعبودات من دون الله من كل

---

١) الانبياء ، الآية : ٢١-٢٣.

٢) الروم ، الآية : ٢٨.

٣) التوبة ، الآيات ٦٩-٧٠.

الوجوه.. قال تعالى : ﴿قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾(١)..

وقال تعالى : ﴿أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعهم إلى الهدى لا يَتَّبِعُوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون * إنَّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون * إن وليِّيَ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين * والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾(٢).

سابعاً : تنفير الناس من الشرك عن طريق بيان قبحه وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة..

أما في الدنيا فقد وصفهم القرآن بالنجاسة المعنوية الناشئة عن كفرهم وبعدهم عن ربهم عز وجل ، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾(٣)..

وأما في الآخرة ، فقد حرمهم الله مغفرة ذنبهم فقال تعالى ﴿إن الله لا

---

١) المائدة ، الآية : ٧٦.

٢) الأعراف ، الآية : ١٩١-١٩٨.

٣) التوبة ، الآية : ٢٨.

يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾(١).

ثامناً : عرض مشاهد مما سيقع يوم القيامة بين المشركين وشركائهم ففي هذا اليوم يبرز الله عجز الأنداد وتخليهم عن عبادهم وتبرئتهم منهم ، قال تعالى **﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾**(٢).

تاسعاً : أدب المحاورة ، وذلك عن طريق مجاراة الخصم في معتقده وإيهامه بصواب حجته ثم التدرج معه حتى يقر بصواب قضية الإيمان..

فالقرآن الكريم يدعو أتباعه إلى أن يقولوا لخصومهم دعونا نسلم أولا بأن أحدنا على هدى والآخر على ضلال **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾**(٣).

ثم دعونا نؤكد لكم أن إجرامنا وبعدنا عن الصواب إنما هو عائد علينا نحن ولا ينالكم منه شيء كما لا نسأل نحن عما بدر منكم من أعمال ، **﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾**(٤).

وأوضح مثال على هذه المناظرة التي ناظر فيها إبراهيم عليه السلام عباد

---

١) النساء ، الآية : ٤٨.

٢) القصص ، الآيات : ٦٢-٦٤.

٣) سبأ ، الآية ٢٤.

٤) سبأ ، الآية : ٢٥.

الكواكب كما مر سابقاً(١).

○ رابعاً : التدرج في التربية :

لقد برز أسلوب التدرج في التربية للأفراد والجماعات واضحاً جلياً من خلال ملاحظة الأمور التالية:

١- تدرج نزول القرآن الكريم في مجال زمني استمر ٢٣ سنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث نزل منجماً مفرقاً كما هو واضح من قوله تعالى ﴿**وقرءاناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾(٢) ، وقوله تعالى ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ○ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾(٣).

٢- التدرج في التشريع بدءاً بالأهم وذلك بإرساء قواعد العقيدة والفكر الإسلامي ، والذي استغرق حوالي ثلاث عشرة سنة ، مدة اقامته ﷺ في مكة المكرمة ، من البعثة إلى الهجرة.

٣- التدرج في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى ، عن طريق الاتصالات الشخصية والدعوة السرية التي بدأت في منزل رسول الله ﷺ ثم كان اللقاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه ، ثم تتابعت

---

١) نقلا عن مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ، مرجع سابق ص ١٨١ - ١٨٨ ، بتصرف بسيط ، وانظر الحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ٣٦٧-٣٩٨ ، ومنهج الرسل الكرام في الدعوة ، مرجع سابق ص ٩٩-١٠٥.

٢) الإسراء ، الآية : ١٠٦.

٣) الفرقان ، الآية : ٣٢-٣٣.

أساليبه ﷺ في الدعوة خطوة خطوة كما هو موضح في المبحث الثاني من الفصل الأول.

٤- التدرج في تغيير بعض العادات السيئة المستحكمة والمتفشية في المجتمع آنذاك مثل شرب الخمر(١).

والمتأمل في سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام يجد أنه عليه الصلاة والسلام قد تدرج في تربية الأمة الإسلامية بمرحلتيها المكية والمدنية ، تمشياً مع أسلوب القرآن الكريم ، الذي تدرج في تربية الناس تدرجاً فطرياً لاصلاح النفس البشرية ، واستقامة سلوكها ، وبناء شخصيتها ، وتكامل كيانها ، حتى استوت على سوقها ، وآتت أكلها الطيب بإذن ربها ، لخير الإنسانية كافة ، مراعياً المستوى الذهني للمدعوين ، وتنمية قدراتهم العقلية ، والنفسية ، والجسمية ، بما يوجهها وجهة سليمة سديدة ، إلى الخير والرشاد ، في كل المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية ، بحيث كان يعطي المدعوين القدر المناسب لقدراتهم واستعداداتهم ، فلا يثقل كاهلهم ويحملهم مالا يطيقون ، حفظاً أو فهماً ، ولا يحدثهم بمالا يدركون ، ويراعي حالهم في علاج ما يعرض لهم ، من شذوذ خلقي ، أو يفشو من عادات سيئة ، فلا يقسو ولا يتعسف ، بل يأخذ الأمر بأناة وروية ، وتدرج ، وحكمة ، مما يجعل المدعو يقبل على الدعوة ولا ينفر منها(٢).

ولكنه ﷺ لم يستخدم أسلوب التدرج بطريقة عشوائية ، وإنما حسب

---

١) انظر الرسول العربي المربي د. عبدالحميد الهاشمي ، ص ٤٠٧.

٢) التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، مناع القطان ص ٥٨ ، بتصرف.

خطة محكمة منظمة وسط بين الإفراط والتفريط ، فخير الأمور الوسط ، حيث أن العشوائية ليست ظاهرة علمية سليمة في عمليات التربية والدعوة والتعليم ، واكتساب العادات ، وغرس وتثبيت القيم والمفاهيم الإسلامية.

كما أن الطفرة كثيراً ما تؤدي إلى نتائج سلبية أو عكسية ، وذلك لأن عوامل التقبل والهضم والامتصاص والتثبيت عمليات نفسية شعورية ، ولا شعورية ، متفاعلة في التكوين الشخصي وهي مساعدة في أكثر العمليات التربوية والنفسية..

لهذا فإن العنصر الزمني وما يتضمن من إثارة الدوافع الذاتية ، وعوامل التوجيه ، وعوامل التكرار ، والممارسة ، كلها أمور ينبغي على الداعية أن يراعيها حتى تؤتي الدعوة ثمارها(١).

ولقد استطاع الرسول ﷺ بأسلوبه الحكيم ومنهجه القويم ، أن يوجد من قوم ضاربين في الجهالة ، متنافرين في الطباع ، متفاوتين في الاتجاه والأخلاق ، خير أمة أخرجت للناس ، حتى أصبحت نبراساً تهتدي به الأمم ، ومنهجاً يقتفي أثره المصلحون ، ونظاماً أذهل المقننين(٢)..

وهذه نبذة موجزة عن تدرج النبي ﷺ في تربيته لأصحابه ، في المرحلتين المكية والمدنية ، وذلك كما يلي:

أولا : في المرحلة المكية :

لقد كانت الفترة المكية فترة تربية وإعداد لقوم معينين وسط ظروف معينة ، هي ظروف المجتمع الجاهلي ، الذي يؤثر في حياته مواريث الآباء

---

١) الرسول العربي المربي ، د/ عبدالحميد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ٤٠٧ ، بتصرف بسيط.

٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة ، د/ محمد السيد الوكيل ، ص ٨٤.

والأجداد(١).

وقد أعد النبي ﷺ أصحابه في هذه الفترة من الدعوة ورباهم أحسن تربية حيث تتنزل الآيات الكريمات ، وفيها الأمر بالتوجيه إلى الخير والصلاح والالتزام به ، وحب ذلك الخير للناس جميعاً ، وتحمل المشاق والصعاب مهما كانت التضحيات ، واشتدت الأيدي الآثمة بالتعذيب والتنكيل بهم ، في سبيل الوصول بأولئك الناس إلى هذا الخير ، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وطمعاً في ثوابه(٢).

وقد كان التركيز في هذه الفترة على ترسيخ العقيدة وتثبيت جذورها حتى تتمكن في النفوس ، ولا يستطيع أهل الباطل اقتلاعها ، حيث كان القرآن الكريم وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة ، يخوض بها معركة مع رواسب الجاهلية من حولها ، كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها(٣).

ولهذا كان هذا التركيز على ترسيخ العقيدة في النفوس بحاجة إلى خطوة ثانية إنها ضبط النفس والصبر على الأذى ، وتحمل المشاق في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية ، استعداداً لمرحلة قادمة تكون أشد ضراوة من سابقتها(٤).

---

١) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، مرجع سابق ص ٢٦٦.

٢) الأسلوب النبوي في الدعوة ، د/ الشريف حمدان ، راجح الهجاري ، مرجع سابق ص ٤٧١.

٣) منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، علي بن جابر الحربي ، مرجع سابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٦ ، بتصرف.

٤) الأسلوب النبوي في الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٤٧٠.

فقد جاء في الحديث عن الخباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : « ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، من دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون(١).

إن خباباً رضي الله عنه في هذا الموقف يشكو من مرارة البلاء ، ولكن المربي الكريم ، والداعية الحكيم ، كان واضحاً لديه أن الأمر لم تستكمل عملية الإعداد له ، وأنه ما زالت اختبارات على المؤمنين أن يمروا بها ، حيث طمأنه إلى النتيجة ، وهي تمام ذلك الأمر الذي هو قيام الإسلام بعد أن هون عليه من مصابه ، إذا قيس بما ذكره النبي ﷺ من مصاب الدعاة في الأمم السابقة.

ولهذا لا ينبغي إغفال عامل الزمن في أي عملية دعوية ، مع ملاحظة التجارب التي مرت بها العملية الدعوية ، ونوعية تلك التجارب للاستفادة منها(٢).

---

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج١٢ كتاب الاكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، الحديث رقم ٦٩٤٣ ص ٣٣٠ ، وانظر كتاب المناقب ج ٦ الحديث رقم ٣٦١٢ ، ص ٧١٦ ، وكتاب مناقب الانصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، الحديث رقم ٣٨٥٢ ، ج٧ ص ٢٠٢.

٢) السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة ، لصالح احمد الشامي ص ٥١-٥٢ ، بتصرف بسيط ، وانظر فجر الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ١٣٤-١٣٥.

وكذلك ربى الرسول ﷺ أصحابه على اتباع أسلوب حياة جديدة تمت تحت قيادة جديدة ، يرجعون إليها في كل شيء ، ويأخذون عنها جميع أمور حياتهم ، ولا يتصرفون إلا وفق ما تأمرهم به مهما يكن الأمر مخالفاً لمألوفاتهم وعاداتهم ومواريثهم(١). وهكذا ربى رسول الله ﷺ أمته على النظام ، فسمعت و أطاعت(٢).

ولهذا لم تنقض الفترة المكية حتى وصل المسلمون الأوائل إلى مرحلة عظيمة من الاستعداد ، ومواجهة الأحداث الجسام ، مهما كانت(٣).

فها هم آل ياسر يعذبون أشد العذاب ، ورسول الله ﷺ يمر ويشاهدهم على تلك الحال ، فما يزيد على أن يقول : [ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة](٤).

ذلك لأن الغاية من التربية في هذه المرحلة إعداد المؤمنين إعداداً قوياً صلباً تهيئة لمرحلة قادمة ، تكون أشد بلاء من سابقتها ، وهي مرحلة الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة الإسلامية..

ومما لا شك فيه ، إن هذه الصلابة التي تحلى بها المؤمنون في تلك الفترة ، من الصبر على البلاء ، والثبات على المنهج كان محل إعجاب وإكبار من المشركين ، داخل نفوسهم ، وهم لا يشعرون ، الأمر الذي دعاهم إلى التفكير والنظر في هذه القيم التي يؤمن بها هؤلاء المؤمنين ويموتون في

---

١) انظر الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، لرؤوف شلبي ، مرجع سابق ص ٢٦٧.

٢) أسس الدعوة ، للوكيل ، مرجع سابق ص ٨٤.

٣) الأسلوب النبوي في الدعوة ، للهجاري ، مرجع سابق ٤٧٥ ، بتصرف.

٤) الطبقات لابن سعد ٢٤٩/٣. والبداية والنهاية لابن كثير ، مرجع سابق ٦٤/٣-٦٥.

سبيلها.

وهكذا استطاع الرعيل الأول بتوجيهات المربي الكريم ، والداعية الحكيم ﷺ أن يكونوا القاعدة الصلبة التي قام عليها المجتمع الإسلامي فيما بعد ، وما ذاك إلا بفضل الله أولا ، ثم بفضل تلك التربية الإيمانية الحكيمة ، التي كان الرسول ﷺ ينشئهم عليها ، وعلى كل فإن التربية بهذه الفترة قد مرت بالخطوات التالية:

١- بدأت التربية من داخل النفس في اتجاهين : تصفيتها من رواسب الجاهليات ، والسير بها في الطريق الإيجابي ، طريق البناء الخلقي ، وفي الوقت نفسه تبني خارجياً على محاربة الشر والباطل.

٢- تربية الأمة بحسب الأحداث ، وهي تربية تطبيقية تقوم في واقع الحياة العملية ، ولم تكن مجرد محاضرة أو درس أو تصور نظري ، ذلك أننا ليس أمام ترف فكري أو فلسفة عقلية.

٣- لقد كانت التربية وئيدة الخطى ، لأن التعامل مع النفوس البشرية ليس مهمة سهلة ، ولهذا سميت مهمة التعامل مع النفوس تربية ، ذلك أنها تكون تعهداً حالا بعد حال إلى حد التمام.

٤- التربية وقيمة العمل مما تقرره التربية في النفوس أن العمل أي عمل سواء كان مادياً أو معنوياً ، إنما يستمد قيمته من الباعث الذي دفع

إلى القيام به ، أو ما نعبر عنه [بالنية](١).

○ ثانياً : في المدينة المنورة :

استمر النبي ﷺ على نفس الأسلوب الذي اتبعه في المرحلة المكية ، من العمل على ترسيخ العقيدة في النفوس ، وتثبيتها ، لكنه في المرحلة المدنية انتقل إلى خطوة أخرى ، هي مرحلة الدفاع عن العقيدة ، وحمايتها ، حيث أذن الله له في القتال ، مع الاستمرار على تعهدهم بالتربية والتعليم وتزكية النفوس ، والحث على مكارم الأخلاق ، وتأديبهم بآداب الإسلام السامية ، من الود ، والإخاء ، والمجد ، والشرف ، والعبادة ، والطاعة ، كما يتضح من الأحاديث التالية:(٢).

١- روى الترمذي رحمه الله بسنده عن عبدالله بن سلام قال : لما قدم رسول الله ﷺ يعني المدينة ، انجفل الناس إليه ، وقيل : قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : يا أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام" قال الترمذي : حديث صحيح(٣).

٢- روى مسلم رحمه الله بسنده عن جابر رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده(٤).

---

١) السيرة النبوية ، تربية أمة ، مرجع سابق ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٠ و ٩٩ ، ١٠٣ ، بتصرف.

٢) انظر الرحيق المختوم ، مرجع سابق ص ٢٠٩ ، والحكمة في الدعوة ، مرجع سابق ص ١٦٧.

٣) تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٧/١٨٧-١٨٨. الحديث رقم ٢٦٠٣

٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٠-١٢ باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل. الحديث رقم ٤١.

٣- روى البخاري رحمه الله بسنده عن ابي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.. وشبك بين أصابعه(١).

٤- روى مسلم رحمه الله بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه(٢).

٥- روى البخاري رحمه الله بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وأجابة الدعوة ، وتشميت العاطس ، وفي رواية لمسلم : حق المسلم على المسلم ستة ، ومنها : إذا استنصحك فانصح له.. إضافة إلى الخمس المذكورة(٣).

٦- روى مسلم رحمه الله بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا

---

١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٧٦٤/١ ، كتاب الصلاة. باب تشبيك الاصابع في المسجد وغيره ، حديث رقم ٤٨١

٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٠/١٦ -١٢١ ، كتاب البر والصلة رقم الحديث ٢٥٦٤.

٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الجنائز باب الامر باتباع الجنائز ، الحديث رقم ١٢٤٠ ١٣٥/٣ ، ومسلم بشرح النووي ١٤٣/١٤-١٤٤ ، كتاب السلام ، الحديث رقم ٢١٦٢.

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(١).

هذه بعض النصوص التي يربي فيها الرسول ﷺ أصحابه في المدينة ، ومن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين وغيرها الكثير من النصوص التي كان الرسول ﷺ يحثهم فيها على الإنفاق ويذكر لهم من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب ، أو يحثهم فيها على الاستعفاف عن المسألة أو يذكرهم فيها بفضل الصبر والقناعة ، أو يرغبهم فيها في العبادات ، وما فيها من الفضائل والأجر ، والثواب ، مع عدم سماحه ﷺ بمرور آية مخالفة من غير توجيه وإرشاد وتصحيح ، كما أنه ﷺ كان لا يرى شيئاً يحتاج إلى توضيح وبيان ويسكت عليه.

حيث كان ﷺ يربطهم بالوحي النازل من السماء ، ربطاً وثيقاً يقرؤه عليهم ويقرأونه عليه ، لتكون هذه الدراسة إشعاراً بما عليهم من حقوق الدعوة ، فضلاً عن ضرورة الفهم والتدبر(٢).

وهكذا رفع رسول الله ﷺ معنويات أصحابه ومواهبهم وزودهم بأعلى القيم والمثل الإسلامية ، حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني ، فأقاموا حضارة سعدت بها الدنيا وشهد لها العدو قبل الصديق ، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وكيف لا وهم كما يقول عنهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أفضل

---

١) مسلم بشرح النووي ، كتاب البر والصلة ، ١٤٠/١٦ رقم الحديث ٢٥٨٦ ، ، وفتح الباري بنحوه ، كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم ، الحديث رقم ٦٠١١ جـ١٠/٤٥٢.

٢) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ١٧٠-١٧١ ، والرحيق المختوم ، مرجع سابق ص ٢١١ ، وأسس الدعوة وآداب الدعاة ، مرجع سابق ص ٨٥.

هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه.

بمثل هذه التربية التي كانت تهتم بالنفوس والقلوب قبل الأجسام والتي جعلت أولئك الجفاة الغلاظ الشداد أناساً رحماء متسامحين، متحابين، متعاونين، كالبنيان يشده بعضه بعضاً، أستطاع رسول الله ﷺ أن يبني مجتمعاً مسلماً، يعتبر أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكله حلا بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعاً يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله أولا، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ربى أصحابه بهذه التربية الرشيدة.. فحري بالدعاة أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ(١).

---

١) انظر: الحكمة في الدعوة، مرجع سابق ١٧١، والرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ٢١١-٢١٢، وأسس الدعوة وآداب الدعاة، مرجع سابق ص ٨٧، والأسلوب النبوي في الدعوة، مرجع سابق، ص ٤٨٠.

الفصل الثاني
أهم أسس التدرج وضوابطه

ويتشمل على مبحثين:

المبحث الأول : أهم أسس التدرج :

أ- تقديم الأهم على المهم .

ب- التدرج من المحسوس إلى المعقول .

ج- التدرج من الكليات إلى الجزئيات.

د- التدرج من المبهم إلى الواضح.

المبحث الثاني : أهم ضوابط أسس التدرج

❑❑❑

المبحث الأول
أهم أسس التدرج

أ - تقديم الأهم على المهم.

إن من أهم الأسس التي يجب على الدعاة مراعاتها عند استخدام أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، تقديم الأهم على المهم ، لأن ذلك يجعل الدعوة تلقى قبولا في نفس المدعو ويذعن لها قلبه لانسجام أسلوب التدرج مع العقل السليم.

كما أن التخطيط الناجح للدعوة يتطلب من الداعية أن يبذل كل جهوده في إقناع المدعوين بهذا الأمر الأهم ، وحملهم على تلقيه بالقبول ، فإذا ما استقر في القلوب واستجابه له النفوس ، انتقل إلى ما دون ذلك من أمور(١).

والمتأمل في دعوات أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، ومن بينهم سيدنا محمد ﷺ يجد أنها مبنية على هذا الأساس ، أعني تقديم الأهم على المهم.. فما من نبي ولا رسول إلا وبدأ بدعوة قومه إلى التوحيد الخالص وتثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين ، فاذا ما استجاب الناس

---

١) انظر : الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم ، لمحمد محمود أحمد سيد آيات الطلابي ص ١٦٦ ، والدروس الدعوية في السنن الفعلية في صحيح مسلم لمرزوق سليم ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ١٤١١هـ ، غير منشورة ، ص ١٧. ، والتدرج بين التشريع والدعوة ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، والدعوة الفردية مرجع سابق ص ٣٠ ، وكتاب ثلاث محاضرات في العلم والدعوة لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، مرجع سابق ص ٦٨.

وآمنوا بتلك العقيدة واستقرت في النفوس والقلوب ، جاءت التكاليف ووجوه الاصلاح الأخرى بعد ذلك ، بكل ما يتصل بسائر نواحي الحياة اجتماعية ، كانت أو اقتصادية ، أو سياسية ، أو ثقافية ، أو غيرها ، لأن الفرع يستقيم باستقامة أصله ، والتوحيد هو الأصل الذي ينبني عليه غيره في جميع المجالات ، دينية كانت أو دنيوية ، وهو الأساس الذي قامت عليه دعوة الأنبياء جميعاً ، عليهم الصلاة والسلام ، والذي يتضح من خلال تأمل قصصهم الواردة في القرآن الكريم(١).

قال تعالى : **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**(٢) ، وقال تعالى : **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون﴾**(٣).

ولا شك أن تقديم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أمر العقيدة على غيره من الأمور في دعوتهم لقومهم ، من باب تقديم الأهم على المهم ، حيث لم يطلبوا من قومهم في بداية الدعوة القيام بأي عمل أو حكم شرعي ، من صلاة ، وصيام ، أو خلافها ، قبل أن يذعنوا بالوحدانية لله عز وجل ، وما

---

١) انظر : الدعوة الإسلامية معالمها ومناهجها ، مرجع سابق ص ٢٠٠-٢٠١ ، ومنهج القرآن في عرض عقيدة الاسلام ، مرجع سابق ص ٤٢-٤٣ ، والأسلوب الاعلامي في القرآن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ ، والدعوة قواعد وأصول ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ ، والدروس الدعوية مرجع سابق ص ١٧ ، ومنهاج الانبياء في الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ص ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ٩٧. وأسس الدعوة وآداب الدعاة ، مرجع سابق ص ٧٢ ، وثلاث محاضرات في العلم والدعوة ، مرجع سابق ص ٦٨.

٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦.

٣) الأنبياء ، الآية : ٢٥.

ذلك إلا لأن العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي تقوم عليه الأعمال ، فبدونها لا يكون للعمل وزن عند الله تعالى(١).. بدليل قوله تعالى : ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب**﴾(٢).

وبما أن العقيدة الإسلامية وتجلية معانيها وأصولها وما تستلزمه وتتضمنه هي أساس دعوة الأنبياء جميعاً ، كما ذكرت آنفاً ، فقد أمر الله نبيه محمد بن عبدالله ﷺ أن يقتدي بهم فقال تعالى : ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده...**﴾(٣).. لأنها هي الأصل في الدعوة ، وما عداها فروع ، والأصل مقدم على الفرع ، فإذا استقام للداعية هذا الأصل واستجاب له المدعوون سهل عليه اقناعهم بمعاني الإسلام ، وفروعه المختلفة ، وإذا رفضوه رفضوا سائر فروعه ، ومعانيه ، وهذا هو النهج الصحيح الذي دل عليه القرآن الكريم ، وسار عليه النبي ﷺ ، حيث ظل القرآن المكي يتنزل على النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة ، في بيان أصول العقيدة ومعانيها ، مثل الإيمان بالله ووحدانيته في الربوبية والألوهية ، والايمان بيوم الحساب ، ومآل الناس إلى الجنة والنار ، وضرورة الإيمان بالرسول ﷺ والقيام بالعمل الصالح المشروع(٤).

---

١) انظر الدروس الدعوية ، مرجع سابق ص ١٧ ، وثلاث محاضرات في الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٦٨.

٢) النور ، الآية : ٣٩.

٣) الانعام ، الآية : ٩٠.

٤) أصول الدعوة ، د/ عبدالكريم زيدان ، ص ٤٢٢ ، بتصرف بسيط.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنّي أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكوننّ من المشركين ○ قل إنّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ○ مَنْ يُصْرَفْ عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ○ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾(١).

وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ○ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ○ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٣).

ولقد ظل هذا النهج القرآني في التأكيد على العقيدة الإسلامية مستمراً حتى بعد الهجرة إلى المدينة ، فكانت الآيات تتنزل ببيانها أو

---

١) الأنعام ، الآيات : ١٤-١٧.

٢) الحج ، الآيات : ٥-٧.

٣) النحل ، الآية : ٩٧.

تختتم آيات المعاملات بأصول العقيدة كالايمان بالله ، واليوم الآخر ، ليؤكد أن بناء العقيدة وتمكينها وشمولها لشعاب النفس ، كلها ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة ، والنظام الوحيد الذي يجب أن تستسلم له ، قبل أن تفرض عليها تفصيلاته وتشريعاته ، لأن الاستسلام ابتداء هو مقتضى الايمان ، ولما كان الأمر كذلك ، تلقت النفوس تلك التنظيمات بالقبول ، لا تعترض على شيء منها ، فور صدوره إليها ، ولا تتلكأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له(١).

هذه نبذة موجزة عن منهج القرآن الكريم في تقديم الأهم على المهم ، متمثلا في التركيز على العقيدة لكونها الأهم.

أما السنة ، فيكفي شاهداً على ذلك أن الرسول ﷺ حينما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب(٢).

---

١) انظر أصول الدعوة ، مرجع سابق ص ٤٢٣ ، ومنهج الدعوة ، لعلي جابر ، مرجع سابق ص ٢٢٧-٢٢٨.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الاغنياء وترد في الفقراء ، حيث كانوا ، الحديث رقم ١٤٩٦ ، ٤١٨/٣ ، ومسلم بشرح النووي ، بنحوه ، كتاب الايمان ، ١٩٦/١-١٩٧ ، رقم الحديث ١٩ ، وتحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، كتاب الزكاة ٢٥٩/٣-٢٦٠. رقم الحديث ٦٢١.

في هذا الحديث الشريف يعلم الرسول ﷺ معاذاً رضي الله عنه أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله ، ويأمره بذلك ، وذلك بأن يقدم الدعوة إلى الشهادتين على غيرهما من الواجبات ، لكونهما الأهم ، للتخفيف على العقول في القبول ، والتوطئة للتنقل من واجب إلى آخر عن طريق الرغبة والاشتياق(١).

قال ابن حجر رحمه الله : ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا به..(٢).

ثم أمره عليه الصلاة والسلام بعد أن يستجيبوا لذلك أن يتدرج معهم من الإيمان إلى العمل البدني بالصلاة ومن العمل البدني إلى العمل المالي بالزكاة.. وهكذا(٣).

وقال الخطابي في الحكمة في تأخير ذكر الصدقة عن ذكر الصلاة ، لأنها إنما تجب على قوم دون قوم ، وأنها لا تتكرر تكرار الصلاة ، قال ابن حجر: وهذا حسن ، وتمامه أن يقال : بدأ بالأهم فالأهم ، وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة(٤).

وقال النووي بعد ذكر الخلاف حول كون الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أم لا : «رتب ذلك في الدعاء الى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم ، ألا

---

١) انظر : فتح الباري المرجع السابق ٣/٤١٩-٤٢٠ ، والدعوة قواعد وأصول ، مرجع سابق ص ١٨٢.

٢) فتح الباري ، المرجع السابق ٣/٤٢٠-٤٢١.

٣) الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها ، مرجع سابق ص ١٨ ، بتصرف بسيط.

٤) فتح الباري ، المرجع السابق ٣/٤٢١.

تراه بدأ ﷺ بالصلاة قبل الزكاة ، ولم يقل أحد أنه يصير مكلفاً بالصلاة دون الزكاة ، والله أعلم..

وقال في موضع آخر بعد شرح حديث نفاذ أزواد القوم حتى إنه هم بنحر بعض حمائلهم ، وفي هذا الذي هم به النبي ﷺ بيان لمراعاة المصالح ، وتقديم الأهم فالأهم ، وارتكاب أخف الضررين لدفع أضرهما ، والله أعلم(١).

وهكذا رسم رسول الله ﷺ للدعاة أهم أسس التدرج في الدعوة إلى الله بتقديم الأهم على المهم ، فعليهم أن يقدموا أمور العقيدة على غيرها من العبادات والأخلاق ، ويقدموا الفروض على المندوبات ، والنوافل والمحرمات على المكروهات ، والمصالح العامة على المصالح الخاصة ، عند التعارض والضروريات على الحاجات والتحسينات ، ودرء المفاسد على جلب المصالح ، وتقديم أخف المفاسد عند الضرورة ، والمتفق عليه قبل المختلف فيه ، وهكذا..

فالداعية إلى الله كالطبيب الماهر في معالجة مريضه ، صاحب الأمراض المتعددة ، الذي يرتبها حسب الأولويات ، فيقدم الأهم على المهم ، ويصف لكل مرض ما يناسبه من العقاقير والعلاج ، ولا يعطيه العلاج دفعة واحدة ، وكذلك سقيه الدواء لأنه لو فعل ذلك ما كان لعلاجه جدوى ، بل ربما تسبب في ضرر مريضه ، أو قضى على حياته ، وهكذا الحال بالنسبة للداعية.

---

١) مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ١٩٨/١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، وانظر الدروس الدعوية ، مرجع سابق ص ٢٠.

فإن عليه أن يتدرج مع المدعوين مقدماً الأهم على المهم ، لأن هذا هو المنهج السليم ، الذي اتبعه الاسلام ، لكن بعض الدعاة قد غاب عنهم هذا المنهج القويم ، فيدعون إلى عمل سنة أو ترك مكروه ، أو الابتعاد عن موجب فسق كدعوتهم مثلا الى ترك شرب الدخان والتركيز على ذلك ، أو الحرص كل الحرص على عدم سماع الأغاني ، بينما يكون المدعو في هذه الأثناء لا يؤدي الصلاة ، ولا يصوم ، ولا يزكي ، فيكون الداعية بذلك قد ترك الأمر الأهم الذي ينبغي أن يبدأ به ويركز عليه ، فإذا ما استجاب انتقل إلى ما دونه من سنن ومندوبات... الخ.

ولا شك أن هذا خطأ يؤدي الى ضعف البناء لدى المدعو ، ومن ثم قد يقع في أعمال منكرة بل شركية أحياناً ، معتقداً أن الاسلام إنما هو التمسك بتلك السنن التي دعى اليها في البداية ، فالواجب على الداعية الدعوة إلى التوحيد أولا ، وتثبيت الإيمان في النفوس ، ثم إلى فرائض الإسلام ، ثم ما يتلو ذلك من واجبات(١).

ب - التدرج من المحسوس إلى المعقول :

من الأسس الهامة أيضاً التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، التدرج مع المدعو من المحسوس المشاهد إلى المعقول ، لتجسيد المعاني المعقولة في صورة محسوسة ، من أجل تقريبها إلى

---

١) انظر المدخل إلى علم الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ ، والدعوة الاسلامية منهجها ومعالمها ، مرجع سابق ص ٢٣ ، والدعوة الفردية لصالح صواب ، مرجع سابق ، ص ٣٠ ، والدروس الدعوية ، مرجع سابق ص ٢١.

الأفهام ، مساعدة للمدعوين على فهمها وإيصالها إلى ذهن المدعو..

فالنفس تألف بالنظائر والأشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم التنظير.. ففي التدرج من المحسوس إلى المعقول ، يبرز المعنى ويتضح ، ولا يستطيع جحده أو إنكاره ، وبالتالي يكون أدعى لقبوله الحق ، واستجابته له ، إن أراد الله هدايته(١).

والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة جداً ، ومن ذلك قوله تعالى **﴿يخرج الحيَّ من الميِّت ويخرج الميِّت من الحيِّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾**(٢) ، وقال تعالى : **﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إنَّ ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾** (٣) ، وقال تعالى : **﴿ومن آياته أنَّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إنَّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنَّه على كل شيء قدير﴾**(٤) ، وقال تعالى : **﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميِّتٍ فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾**(٥).

---

١) انظر الحديث النبوي وعلم النفس ، د/ محمد عثمان نجاتي ص ١٩٣ ، وأسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البياني ، لعمر محمد عمر باحاذق ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٤٠٧هـ ص ٢٩٤ ،

٢) الروم آية : ١٩.

٣) الروم ، الآية : ٥٠.

٤) فصلت ، الآية : ٣٩.

٥) الأعراف ، الآية : ٥٧.

في هذه الآيات الكريمة تدرج من المحسوس المشاهد وهو إحياء الأرض الجدباء القاحلة بعد نزول الغيث عليها ، وهو أمر حسي ، يتجدد بين يدي الناس ويشاهدون فيه آثار قدرة الله تعالى ، على الإحياء المتجدد ، وهو أمر معقول ، وبرهاني قاطع ، من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت ، لأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم(١).

والمتأمل في الأمثال القرآنية يجدها ذات قيمة بيانية واضحة في تثبيت المعاني ، ذلك أنها تبرز المعقولات في صورة المحسوسات(٢) ، كما هو واضح من الآيات السابقة ، والتي تكفي للاستشهاد.

أما السنة المطهرة ، فقد جاء فيها التدرج من المحسوس إلى المعقول كما يتضح من الآتي :

○ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ قال : إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم

---

١) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، مرجع سابق ، ص ٣٩٧ ، وأسس الدعوة ، وآداب الدعاة ، مرجع سابق ص ١٣٧.

٢) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البياني ، لعمر محمد عمر باحاذق ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٤٠٧هـ ص ٣٨٢.

يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به(١).

في هذا الحديث الشريف يشبه الرسول ﷺ الهدى والعلم الذي بعث به وهو أمر معقول بالمطر المفيد الذي يحيى به البلد الميت ، وهو أمر محسوس مشاهد ، لأنه يحيي القلوب ، وإحياء القلوب أمر معقول ، كما يحيي المطر الأرض وإحياء المطر للأرض أمر محسوس مشاهد.

وشبه من ينتفع بالعلم الذي بعث به وهو أمر معقول بالأرض الطيبة التي تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب وهذا أمر محسوس ومشاهد.

وشبه من يحمل العلم ويعلمه ولم ينتفع به وهذا أمر معقول بالأرض الصلبة التي تمسك الماء فينتفع به الناس ولكنها لا تقبلها ولا تنبت الكلأ والعشب ، وهو أمر محسوس مشاهد.

وشبه من لم يتعلم ولم يعمل وهو أمر معقول بالأرض المستوية التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ولا عشباً وهذا أمر محسوس مشاهد ، وذلك شر الناس لا ينفع ولا ينتفع به(٢).

○ ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال : هكذا سبيل الله ، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله ، فقال : هذه سبيل

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ١٥/٤٦ ، وانظر فتح الباري كتاب العلم باب فضل من علم وعلم ، رقم الحديث ٧٩ ، ١/٢١١-٢١٢.

٢) انظر : فتح الباري مرجع سابق ج ١ ص ٢١٢-٢١٣ ، والحديث النبوي وعلم النفس ، مرجع سابق ص ١٩٣. ونظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث ، د. عبدالمجيد محمود عبدالمجيد ص ١٢٦-١٢٩.

الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿**وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾(١).

في الحديث تدرج من المحسوس إلى المعقول ، وذلك كما يلي :

أ- الخطوط التي رسمها رسول الله ﷺ لتوضيح سبيل الله وسبيل الشيطان هذا هو الجانب الحسي في الموقف التعليمي الدعوي في الحديث.

ب - استخدام هذه الوسائل الحسية لايضاح الآية الكريمة التي تتحدث عن الصراط المستقيم ، وهي شيء معقول لا يمكن للمدعو لمسه ولا النظر إليه.. وكذا سبيل الشيطان الرجيم ، وفي هذا تدرج بالمدعو من المحسوس إلى المعقول لتقريب المعنى وفهمه.

وهكذا ينبغي للداعية أن يتدرج بالمدعو من المحسوس المدرك إلى المعقول غير المدرك ، عن طريق ضرب الأمثلة الواقعية المحسوسة ، ليتوصل بها إلى شرح الأمور المعقولة ، وأكتفي بهذين المثالين منعاً للاطالة.

جـ / التدرج من الكليات إلى الجزئيات :

من الأسس التي ينبغي أن يراعيها الداعية عند استخدامه لأسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، التدرج من الكليات إلى الجزئيات ،

---

١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣.

وهذا شيء مألوف في الحياة ، وذلك أن العقل البشري يبدأ بإدارك الأشياء العامة أولا ثم ينتقل إلى معرفة الجزئيات الصغيرة ، ولهذا فإن التدرج من الكل إلى الجزء من أهم أسس التدرج في الدعوة إلى الله تعالى(١).

يقول ابن خلدون : اعلم أن تلقيم العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن..(٢).

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية يبدأ بالكليات ثم ينتقل إلى الجزئيات لكون ذلك أدعى للقبول والاستجابة.

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور عبدالكريم زيدان : ما دام أصل الأمر وسنامه التأكيد على أصل الداء والدواء ، فعلى الداعية ألا يبدد جهوده في الجزئيات واستئصالها ، إن كان في ذلك تعويق له عن غرس معاني العقيدة الإسلامية في نفوس المدعوين ودعوته الى الله بدليل أن رسول الله ﷺ كان يرى الأصنام تحيط بالكعبة المشرفة ولم يرفع يده لتحطيمها ، ولم يأمر أصحابه بذلك ، ولو أراد لفعل وأمر ، ولو أمر لنفذ المسلمون ما أمرهم به ، لكنه ﷺ لم يفعل ذلك لأن المسألة ليست مسألة تكسير أصنام آنذاك ، وإنما هي تكسير أقفال القلوب حتى تفقه الحق ، ثم يأتي اليوم

---

١) انظر : القدوة ودورها في تربية النشء بريكان بركي القرشي ص ١١٩.

٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٣. وانظر إحياء علوم الدين للغزالي ٤٦/١.

الذي تخر فيه تلك الأصنام تحت ضربات المؤمنين.. لقد كان ذلك يوم فتح مكة ، فكان ﷺ يشير بعصاه إلى الأصنام وهو يقول لقد ﴿جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾(١) ، فتخر إلى الأرض مكسرة محطمة(٢).

ويقول الشاطبي رحمه الله : اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولا وهي التي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكة ، ثم تبعها أشياء بالمدينة كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة ، وكان أولها الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة ، كالصلاة ، وانفاق المال ، وغير ذلك.. ونهى عن كل ما هو كفر او تابع للكفر ، كالافتراءات التي افتراها المشركون من الذبح لغير الله ، وللشركاء ، الذين ادعوهم افتراء على الله وسائر ما حرموه على أنفسهم ، أو اوجبوه من غير أصل ، مما يخدم أصل عبادة غير الله ، وأمر مع ذلك بمكارم الأخلاق كلها ، كالعدل ، والاحسان ، والوفاء بالعهد ، وأخذ العفو ، والاعراض عن الجاهل ، والدفع بالتي هي أحسن ، والخوف من الله وحده ، والصبر ، والشكر ، ونحوها.. ونهى عن مساوىء الأخلاق ، من الفحشاء ، والمنكر ، والبغي ، والقول بغير علم ، والتطفيف في الكيل والميزان ، والفساد في الأرض ، والزنى ، والقتل ، والوأد وغير ذلك مما كان سائراً في دين الجاهلية..

وإنما كانت الجزئيات المشروعات بمكة قليلة والأصول الكلية كانت في النزول والتشريع أكثر.. ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة

---

١) الاسراء ، الآية : ٨١.

٢) أصول الدعوة ، لعبدالكريم زيدان ، مرجع سابق ص ٤٢٥ ، بتصرف بسيط.

واتسعت خطة الاسلام كملت هناك الأصول الكلية ، على تدريج ، كاصلاح ذات البين ، والوفاء بالعقود ، وتحريم المسكرات ، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور الضرورية ، وما يكملها ويحسنها ويرفع الحرج بالتخفيفات والرخص ، وما أشبه ذلك كله تكميل للأصول الكلية(١).

لهذا فعلى الداعية أن يتدرج مع المدعو من الأمور الكلية بأن يقدم كليات الدعوة على جزئياتها ، ولا يجعل الأمور الجزئية عائقاً له عن الدعوة ، كليات الدعوة كمن يجعل جل همه التركيز على عدم إسبال الثياب أو استعمال السواك ويطلب من المدعو الالتزام بذلك لأنه سنة مع أن المدعو تارك للأركان الأساسية ، من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، مع قدرته عليه ، وكان الواجب على الداعية أن يبدأ بدعوته إلى الصلاة ، فإذا ما استجاب انتقل معه إلى ما دون ذلك من أمور.

ومما سبق ، يتضح أن الدين له أصول كلية تتفرع منها مباديء تتولد منها تعاليم أساسية ، مبدئية ، تنتهي إلى فروع وجزئيات..

فمن يتلقى الدين بهذا الترتيب والتدريج يتأهل في كل مرحلة لمرحلة لاحقة هذا جانب ، وكل ذلك يتم عن طريق الدعوة ، لأنها بالطبع تدعو إلى ذلك الدين.

وفي جانب آخر ، يطلع على ذلك النظام الدقيق الذي يصل بين هذه المراحل كلها والأحكام والمباديء والتعاليم الشرعية جميعاً ، ويتأهل في كل مرحلة إلى المرحلة التي تليها ، وهذا التأهل يدفعه إلى العمل

---

١) الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي اسحاق الشاطبي ٣/٧٧-٧٨.

والحركة ، فيشعر في كل مرحلة بنزعة طبيعية تدفعه إلى الانتقال منها إلى مرحلة أخرى ، أما الذي لم يتعلم الدين بهذا التدريج بل وضعت أمامه عناصر مختلفة مختلطة ، على غير ترتيب ، فلم تقدم الكليات على الجزئيات ، فهو كالطفل الذي حفظ عبارة ما دون أن يمر بالمراحل الأولية ، فهي ثقيلة ، وإن يحفظها بالاتقان واستطاع أن يعيدها ويستحضرها.

ولذلك فإن الأنبياء عليهم السلام ومن بينهم سيدنا محمد ﷺ لم يسلكوا هذا المسلك ، وإنما قدموا الكليات على الجزئيات ، وذلك هو الترتيب الحكيم الطبيعي الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة إلى الله عز وجل ، عند استخدامهم لأسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى(١).

د - التدرج من المبهم إلى الواضح :

من الأسس التي ينبغي على الداعية مراعاتها أيضاً عند استخدامه لأسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، التدرج من المبهم إلى الواضح ، بمعنى إذا كان المدعو لا يستطيع فهم ما يريد منه الداعي فعليه أن يوضح له ذلك الأمر..

يقول الامام الشاطبي رحمه الله حول هذا الموضوع : إن اللفظ المخاطب به يقع مجملا بحيث لا يفهم المقصود به ابتداء ، فيفتقر المكلف عند العمل إلى بيانه ، وهذا الاجمال قد يقع لعامة المكلفين ، وقد يقع

---

١) منهج الدعوة إلى الله ، لامين احسن اصلاحي ، ص ٥٣-٥٤ ، بتصرف.

لبعضهم دون بعض ، فمثال العام قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة...﴾(١) ، و ﴿أنفقوا مما رزقناكم...﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلل﴾(٣).. فإنه لا يفهم المقصود به من أول وهلة ، فجاءت أقوال النبي ﷺ مبينة لذلك. ومثال الخاص قصة عدي بن حاتم في فهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، حتى نزل بسببه ﴿من الفجر﴾(٤) انتهى..(٥).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾(٦) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وأحل الله البيع﴾ فهو أيضاً من المجمل ، لأن الله تعالى حكى عنهم وهم أهل اللسان ، انهم قالوا(٧) : ﴿إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾(٨) ، وإذا كان كذلك افتقر إلى قرينة تفسره وتميز بينه وبين الربا(٩).

ومما سبق يتضح أنه ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يقدم الأمور

---

١) البقرة ، الآية : ٤٣.

٢) البقرة ، الآية : ٢٥٤.

٣) إبراهيم ، الآية : ٣١.

٤) البقرة ، الآية : ١٨٧.

٥) الموافقات ، للشاطبي ، مرجع سابق ٣/٦١.

٦) الأنعام ، الآية : ١٤١.

٧) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين النوار البغدادي الحنبلي ، ١/١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩.

٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥.

٩) المرجع السابق .

الدعوية الواضحة التي يستطيع المدعو فهمها وإدراكها بسهولة ويسر على الأمور الدعوية الغامضة المبهمة ، التي لا يستطيع أن يفهمها ويدركها بسهولة ويسر(١).

ولعل هذا المعنى يندرج تحت قول ابن عباس رضي الله عنه : كونوا ربانيين : حكماء فقهاء.. ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره(٢).

قال ابن حجر : المراد بصغار العلم : ما وضح من مسائله وبكباره : ما دق منها(٣).

ويشير الغزالي إلى هذا المعنى بقوله : ... أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله.. ولذلك قيل: كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار(٤).

ويقول أيضاً : ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ، ولا يذكر له وراء هذا تدقيقاً ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش على قلبه ،يوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق(٥).

وبما أن المبهم مما لا يبلغه عقل المدعو فإنه ينبغي عليه إبلاغ الدعوة

---

١) انظر : ربانية التعليم ، د/ عبدالله يوسف الحسن ، ص ٢٥.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٩٢/١ ، ١٩٥.

٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٩٢/١ ، ١٩٥.

٤) إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ٥١/١ ، وانظر ربانية التعليم ص ١٥..

٥) المرجع السابق.

بالأسلوب الواضح المبين ، السهل أولا ، ثم يتدرج مع المدعو حسب ما يستطيع فهمه ، حتى يصل به إلى دقائق الأمور ومبهماتها ، ولا يجرز للداعية عند ابن القيم : تخيير السائل وإلقاؤه في الإشكال والحيرة ، بل عليه أن يبين له بياناً مزيلا للإشكال متضمناً لفصل الخطاب ، كافياً في حصول المقصود ، لا يحتاج معه إلى غيره.(١).

لهذا كله فإن تقديم الواضح الجلي للمدعو قبل المبهم الغامض من أهم أسس التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، وينبغي على الدعاة إلى الله تعالى مراعاة ذلك عند استخدامهم لأسلوب التدرج..

---

١) ربانية التعليم ، مرجع سابق ص ٢٥ ، نقلا عن أعلام الموقعين لابن القيم ٤/٢٣٨.

المبحث الثاني
أهم ضوابط أسلوب التدرج

١- أن يعلم الداعية إلى الله تعالى أن أسلوب التدرج مع المدعو لا يعني المشاركة في المنكرات ، إذ الغاية عند المسلم لا تبرر الوسيلة ، حيث أن طائفة من الناس رغبة في التدرج بالمدعو يتيحون له المجال لسماع محرم أو النظر إلى محرم ، وقد يشاركونه في ذلك ، وهو أمر لا يجوز بحق الداعية أن يفعله.

٢- مداراة بعض الدعاة بحجة التدرج لبعض المدعوين خوفاً من نفورهم فلا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر ، بل إنهم يشاركونهم في بقية المباحات ويكثرون معهم الكلام والمزاح ، حتى تذوب شخصيتهم فلا يؤبه بهم ، ومن ثم لا يستطيعون أن يأمروا بمعروف أو ينهوا عن منكر ، وهذا منزلق خطير ، يجب أن يحذر منه العاملون في الدعوة(١).

٣- على الداعية أن يراعي المصالح والمفاسد المترتبة على دعوته أثناء استخدامه لأسلوب التدرج ، فمن المتقرر عند أهل العلم وجوب تقدير المصالح والمفاسد في الأمر المطروح قبل الافتاء به.. أعني الأمر المدعو إليه قبل الدعوة إليه ، والعمل على تحصيل أعلى المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين عند التزاحم.. ورحم الله ابن تيمية إذ يقول : ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين

---

١) الدعوة الفردية ، أهميتها ، حالاتها ، عوامل نجاحها ، لصالح يحيى بن صواب ، مرجع سابق ، ص ٢٩.

وشر الشرين.(١).

٤- يجب ألا يكون أسلوب التدرج عذراً لكل من أراد أن يتجاوز النصوص الشرعية فيحلل أو يحرم أو يخالف النصوص الشرعية بحجة أنه يتدرج مع المدعو ، بل يجب أن يتدرج مع المدعو في حدود ما قرره الشرع الإسلامي(٢).

٥- ينبغي للداعية عند استخدامه لأسلوب التدرج أن يعلم أن فقه المصالح والمفاسد وفقه الواقع مهم لا سيما لطلبة العلم ، والدعاة إلى الله ، لأن ذلك يمكن الدعاة من تحديد أولويات العمل الدعوي ، فيقدم الأهم على المهم ، لكن الملاحظ في هذه القضية أن كثيراً من الدعاة يخطيء في تقديم أولويات العمل الدعوي ، فيقدم ويؤخر ، معتقداً أن الأمر يعود إليه ، وهذا في الحقيقة غير صحيح ، لأن أولويات العمل في الدعوة إلى الله عز وجل منضبطة حسب النصوص الشرعية ، ومن خلال سيرة النبي ﷺ في دعوته(٣).

وأي تفريط في منهج الدعوة والرسالة يعتبر خطراً عظيماً والقبول بأنصاف الحلول والمداهنة والترقيع على حساب المنهج والرسالة ، ليس من مصلحة الدعوة ، وإنما هو تفريط..

ومن هنا ينبغي على الداعية إلى هذا الدين ألا يستجيب لاقتراحات

---

١) الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والأحكام ، لابن عاصم هشام بن عبدالقادر بن محمد آل عقدة ص ٤ ، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٥٤.

٢) انظر : فقه الدعوة إلى الله ، ضوابط المصلحة والمفسدة ص ٧ ، بتصرف.

٣) فقه الدعوة إلى الله ، مرجع سابق ، ص ٧-٩ ، بتصرف.

المعترضين ممن يوجه إليهم الدعوة في تحوير منهج دعوته عن طبيتها الربانية ، ولا أن يحاول تزيين هذا الدين وفق رغباتهم وشهواتهم ، وأهوائهم ، بحجة التدرج في الدعوة.

ولذا فإن أسلوب التدرج يقتضي من الداعية أن يراعي الأولويات في دعوته ، في حدود قواعد الشرع ، فيقدم الأصول على الفروع ، والكلي على الجزئي ، والقطعي على الظني ، فمثلا الكافر يدعوه إلى الايمان أولا ، فإذا ما استجاب لذلك خاطبه بالفروع والتكاليف الشرعية ثانياً ، والمسلم الذي يفرط في الواجبات أو يفعل المحرمات عليه أن يدعوه أولا إلى فعل الواجبات وترك المحرمات ، ثم يخاطبه بفعل السنن والمستحبات وهكذا..(١).

٦- أن يعلم الداعية أن أسلوب التدرج ينبغي أن يكون منظماً ومخططاً له بحيث ينتظم الأمور التالية :

- أن يقوم الداعية أولا بعرض وشرح أصول الدعوة التي يرغب في إيصالها للمدعو بإجمال مراعياً قوة إدراك المدعو واستعداده لقبول تلك الدعوة.
- بعد أن يقوم الداعية بعرض أصول الدعوة إجمالا عليه أن ينتقل من الإجمال في الشرح إلى البسط والتوسع.
- بعد قيام الداعية بشرح الدعوة وتبسيطها ، ينتقل إلى عرض دقائق تلك

---

١) انظر : قل هذه سبيلي ، للقرني ص ٤٧ ، والدعوة إلى الله ، محمد إبراهيم التويجري ، بتصرف بسيط ، ص ٥٩.

الدعوة وبيان ما اعتورها من خلافات وما تفرع عنها من مسائل(١).

٧- أن يراعي الداعية عند استخدامه لأسلوب التدرج نفسية المخاطبين في انتقاء اللفظ والمعنى ، والاطالة والايجاز ، والأسلوب وطريقة العرض ليكون ذلك أدعى لقبول الدعوة.

لأن القلوب والنفوس تختلف إقبالا وإدباراً وتقدماً وتخلفاً ورغبة وإعراضاً بفعل الملابسات والأحوال التي تناوبها ، كاختلاف المواسم والفصول تماماً في الملائمة لشيء أو عدم الملائمة له.

إذا ، فيجب على العامل في مجال الدعوة الإسلامية أن يكون على معرفة تامة وخبرة عميقة بهذا الاختلاف ، الذي يواكب القلوب ، كمعرفة الفلاحين والمزارعين باختلاف المواسم ومئمة الفصول لأنواع البذور والزروع(٢).

---

١) التربية في السنة النبوية ، أبو لبابة حسين ، ص ٦٩. بتصرف.

٢) منهج الدعوة إلى الله ، أمين أحسن إصلاحي ، ص ٧٥ بتصرف.

الفصل الثالث

أثر التدرج في الدعوة إلى الله

ويشتمل على خمسة مباحث

- المبحث الأول :

ترسيخ الدعوة في النفوس.

- المبحث الثاني :

التيسير على المدعويين وتحين الفرص لاستمالتهم.

- المبحث الثالث :

ضمان نجاح الدعوة ونشرها.

- المبحث الرابع :

مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم.

- المبحث الخامس :

أثر التدرج في الخطاب والتربية.

❑❑❑

المبحث الأول
ترسيخ الدعوة في النفوس

لقد أسهم أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى إسهاماً كبيراً وآتى ثماره الطيبة المباركة في ترسيخ الدعوة في نفوس المدعويين الذين استجابوا لها ، وأيقنوا بصدقها واتبعوها ، حيث ساعدهم على تلقي العلم والعمل به ، فكلما تعلموا شيئاً من رسول الله ﷺ سارعوا إلى تنفيذه والعمل بموجبه..

يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن..

ويقول أبو عبدالرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً(١).

كما أن أسلوب التدرج أيضاً يتيح للداعية فرصة كبيرة لتعهد المستجيبين للدعوة الإسلامية ، بما يكفل لهم المناعة ضد دائهم القويم ، وهو الشرك بالله ، وتبصيرهم بمعالم الدين الاسلامي الحنيف ، وتثبيتهم عليه تدريجياً ، وذلك بدعوتهم إلى الاسلام وتعليمهم معالمه ، ومعانيه ، وأفكاره شيئاً فشيئاً ، مع تقديم الأهم على المهم ، وحملهم على العمل بما

---

١) تفسير ابن كثير ، ٧/١ ، وتفسير القرطبي ٣٩/١.

تعلموه ، وصياغة سلوكه بموجبه ومقتضاه(١)، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه ، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده(٢).

ولهذا فقد رسخت الدعوة في النفوس وحلت عقيدة الإيمان بالله بدلا من عقيدة الكفر والضلال ، وذلك بتوفيق الله أولا ، ثم باتباع أسلوب التدرج في الدعوة.

ومما يدل على أن استخدام أسلوب التدرج يؤدي إلى هذا الأثر ، استخدام جميع أنبياء الله ورسلهم عليهم الصلاة والسلام لهذا الأسلوب ومن ثم اقتداء سيدنا محمد ﷺ وأمره لأصحابه باستخدام أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله.

فالمستعرض لقصص الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، في القرآن الكريم ، يجد أنهم جميعاً قد استخدموا أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، لما له من أثر كبير في ترسيخ الدعوة في النفوس.. وقد تناولت بشيء من التفصيل أسلوب التدرج في دعوة بعضهم ، فليرجع إليه من شاء.

ويظهر أسلوب التدرج في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واضحاً جلياً من خلال تقديمهم الأهم على المهم ، فقد بدأوا جميعاً بالدعوة إلى التوحيد والعمل على تثبيت العقيدة في النفوس.

لأن العقيدة الصحيحة متى ما انطبعت في نفس المدعو وأيقن بصدقها

---

١) انظر اصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص ٤٤٢-٤٤٤.

٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/١٩٧.

وعمل بمقتضاها ، صارت سداً منيعاً يقيه كل ما من شأنه أن يوقعه في الحرام ، وأكسبته السكينة وهدوء البال ، وجعلت منه شخصاً سباقاً إلى أعمال الخير والفضيلة ، وهذا السلوك الراشد سينعكس ولا شك على أفراد المجتمع.(١).

وها هو سيد الأنبياء والمرسلين ، وإمام الدعاة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، يقتدي بمن سبقه من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فيبدأ دعوته إلى الاسلام بإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك والوثنية ، وذلك بتقويمها بعقائدة الإيمان الصحيح ، والتوحيد الواضح..

فقد ظل ثلاثة عشر عاماً وهو يدعو الى التوحيد وترك الشرك بالله ، حتى إذا ما استقرت العقيدة الصحيحة في القلوب والنفوس ، وأيقن الناس بصدقها وشعروا بمسؤولية البعث والجزاء ، واستقاموا على هذا المبدأ القويم ، فطمهم عن أقبح العادات ، وأرذل الأخلاق ، ودعاهم إلى أصول الآداب وفضائل العادات ، ثم كلفهم مالا بد منه من أمهات العبادات ، وهذا ما كان في مكة ، ولما مرنوا على ذلك وتهيأت نفوسهم للترقي والكمال ، بتطاول الأيام والسنين ، وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة ، جاء التفصيل في التشريع والاحكام ، وأتم الله عليهم نعمته ، ببيان دقائق الدين وقوانين الاسلام(٢).

ومما سبق عرضه ، تبرز أهمية أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ، وآثاره العميقة في ترسيخ الدعوة الإسلامية في نفوس المدعوين

---

١) التربية في السنة النبوية ، لابي لبابة حسين ، ص ١٢ بتصرف.

٢) مناهل العرفان ، محمد عبدالعظيم الزرقاني ٢١٩/١ ، بتصرف بسيط.

الذين استجابوا لدعوة الاسلام ، وآمنوا بها ، بدليل ما ذكرت آنفاً من أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن بينهم سيدنا محمد ﷺ قد استخدموا أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى..

وبدليل أن من اعتنق دين الاسلام وآمن به وتمكن الايمان من قلبه لا يرضى بأي بديل عن دين الاسلام، مهما كانت المغريات ، ومهما لحق به من الأذى ، بل يظل ثابتاً على دينه ، لا يصرفه عنه صارف ، مهما كان ذلك الصارف لأن الدعوة قد رسخت في نفسه ، وتمكنت ، وهذا ما يؤيده واقع الدعوة الإسلامية على مدى التاريخ.. كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، سيدنا محمد ﷺ في الحديث الذي رواه الخباب بن الأرت ، رضي الله عنه : قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون»(١).

يتضح من هذا الحديث أن الدعوة الإسلامية قد تمكنت من نفوس أولئك القوم ، ولم يرضوا بغيرها بديلا مهما لحق بهم من الأذى ، حيث

---

١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، كتاب المناقب ج٦ ، الحديث رقم ٣٦١٢ ، ص ٧١٦ ، وج ٧ الحديث رقم ٣٨٥٢ ، ص ٢٠٢ ، وج ١٢ كتاب الاكراه ، الحديث رقم ٦٩٤٣ ، ص ٣٣٠.

ضحوا بأنفسهم في سبيل الثبات على الدين الإسلامي ، وفيه أيضاً إرشاد لدعاة الإسلام بعدم الاستعجال في قطف ثمار الدعوة ، وإنما ينبغي عليهم أن يتريثوا حتى تستكمل الدعوة الإسلامية الإعداد لها ، تمشياً مع التوجيه القرآني(١).. المتمثل في قوله تعالى : ﴿**فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل ولا تستعجل لهم...**﴾(٢).

ولا شك أن هذا من سياسة الرسول ﷺ الحكيمة ، حيث أنه ﷺ هون مصاب هذه الأمة بما يلاقونه من أذى في سبيل الله ، إذا ما قيس بما ذكره ﷺ عن مصاب الدعاة في الأمم السابقة ، لترسيخ الدعوة في نفوس أصحابه ، مع تنبيههم إلى عامل الزمن في العملية الدعوية ، إذ أن الاستعجال بدعوة الناس إلى جميع الفرائض في وقت واحد يؤدي إلى عدم الاستجابة والنفور من الدعوة ، لهذا كان أسلوب التدرج أنجع الأساليب لتمكينه المدعو من تنفيذ ما يؤمر به أو ينهى عنه(٣).

فلم يقدم الدعوة جملة واحدة فتنفر منها النفوس ، وإنما تقدم الدعوة بواسطته تدريجياً شيئاً فشيئاً حسب قدرات المدعوين واستعداداتهم ، ليكون ذلك حافزاً لهم على الحفظ والفهم والتطبيق ، وقد كان ذلك حيث تعلم الصحابة رضي الله عنهم العلم والعمل معاً.

وعلى كل ، فقد كان أسلوب التدرج من أهم العوامل التي أدت إلى

---

١) انظر السيرة النبوية ، تربية أمة وبناء دولة ، لصالح أحمد الشامي ص ٥١.

٢) سورة الأحقاف ، الآية : ٣٥.

٣) انظر : السيرة النبوية المرجع السابق ص ٥١-٥٢ ، والدعوة الاسلامية في عهدها المكي ، لرؤوف شلبي ، ص ٢٦٥.

تثبيت الدعوة وترسيخها في النفوس ، والاقبال عليها برغبة واشتياق ، وكذلك أدى إلى زيادة عدد المسلمين يوماً بعد يوم ، ولم يدخل في الإسلام أحد ويثبت الايمان في قلبه ثم يتركه رغبة عنه ، هذا ما يؤيده الحوار الذي دار بين هرقل عظيم الروم وأبي سفيان ، عندما سأله هرقل في الحديث المطول عن الذين يتبعون النبي ﷺ والذي جاء فيه :

«... أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، ... ثم قال هرقل لأبي سفيان : وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب(١).

ولا شك أن هذه الزيادة وهذا الثبات على الايمان كانت نتيجة لرسوخ الدعوة في نفوسهم ، وتمكنها من قلوبهم ، بعد توفيق الله لهم ، وتقديمها لهم عن طريق أسلوب التدرج الذي يراعى استعدادات النفوس البشرية ، فيقدم لها ما يناسبها ، ويسهل عليها فهمه وحفظه وتطبيقه ، ولذلك فقد كان عاملا أساسياً من عوامل ترسيخ الدعوة في النفوس ، وثبات من آمن على الاسلام مهما عرضت عليه من مغريات مادية أو معنوية ، ومهما لاقى في سبيله من تعذيب وتنكيل..

فهاهم آل ياسر يلاقون أشد التنكيل والتعذيب من المشركين ، والرسول ﷺ يمر عليهم ويشاهدهم وهم يعذبون ، فما كان يزيد على أن

---

١) انظر : فتح الباري مرجع سابق ، ١/٤٢-٤٣ ، حديث رقم ٧.

يقول : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، وهكذا كان بقية أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ، صبروا وتحملوا صنوف العذاب والتنكيل ، وضحوا بكل شيء في سبيل هذا الدين وتمسكوا به ، وثبتوا عليه ، ولم يصرفهم عنه كثرة المغريات ، ولا صنوف العذاب التي لاقوها ، وما ذلك إلا لرسوخ هذه الدعوة في نفوسهم ، وتمكنها من قلوبهم(١).

---

١) انظر الدعوة الاسلامية في عهدها المكي ، مرجع سابق ص ٢٦٥ ، ٢٦٦.

المبحث الثاني
التيسير على المدعوين وتحيينا لفرص لاستمالتهم

أ / التيسير على المدعوين :

إن الأساس الذي ينبني عليه أسلوب التدرج هو تقديم الدعوة للمدعوين شيئاً فشيئاً حتى إذا ما استوعب المدعو ذلك الشيء المقدم له انتقل معه إلى شيء آخر.. وهكذا.

ولا شك أن هذا من التيسير على المدعوين حفظاً وفهماً وتطبيقاً ، فليس من المعقول أن يطلب الداعية من المدعو تنفيذ كل الفرائض والتكاليف جملة واحدة ، لأن ذلك يشق على النفس ، ويؤدي إلى نفور المدعو وعدم استجابته ، وهو ما يعمل الداعية على تحاشيه ، وإنما ينبغي عليه أن يقدم الدعوة للمدعو شيئاً فشيئاً ، لأنه أدعى للاستجابة القبول ، وهذا هو المنهج الذي اتبعه أنبياء الله جميعاً ، وطبقه النبي ﷺ وأمر به أصحابه ، كما أوضحت سابقاً.

ومن سماحة الإسلام مراعاة التيسير على الناس ، فقد جاءت الشريعة الاسلامية باليسر واللطف ، ورفع الإصر والأغلال عن عباد الله ، فلم يكلفهم سبحانه فوق طاقتهم(١) ، قال تعالى : ﴿لا يكلّف الله نفساً إلاّ

---

١) انظر الخصائص العامة للاسلام ، د/ يوسف القرضاوي ص ١٨٠ ، والمدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، د/ عبدالكريم زيدان ص ١١١.

وسعها﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿لا يكلّف الله نفساً إلاّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾(٣).

وقال ﷺ إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة(٤).. وقال ﷺ : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا (٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه...(٦).

وقال الشاعر :

ومكلف الأشياء فوق طباعها متطلب في الماء جذوة نار(٧).

لهذا كان أسلوب التدرج يراعي التيسير الذي جاءت به الشريعة الاسلامية ، لتكون الدعوة سهلة ميسورة ، لكل من أراد الله هدايته ، فيسارع إلى الاستجابة والقبول ، رغبة واشتياقاً ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى النفوس ، وتلقته برغبة واشتياق ، وكانت عاقبته

---

١) البقرة ، الآية : ٢٨٦.

٢) سورة الطلاق ، الآية : ٧.

٣) البقرة ، الآية : ١٨٥.

٤) فتح الباري ، مرجع سابق ١١٦/١ رقم الحديث ٣٩.

٥) المرجع السابق ١٩٧/١ رقم الحديث ٦٩.

٦) فتح الباري ، المرجع السابق ٥٤١/١٠.

٧) نقلا عن كتاب الأخلاق الاسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حبنكة الميدان ص ١٩٦.

غالباً الازدياد بخلاف ضده.(١).

ب - تحين الفرص لاستمالة المدعوين :

مما لا شك فيه أن تحين الفرص المناسبة لتقديم الدعوة إلى المدعوين من أنجع الأساليب الدعوية في إيصال الدعوة لقلوب المدعوين ، لأن الداعية قد راعى الظروف النفسية للمدعوين ، فلم يلجأ إلى دعوتهم إلا عندما رأى أن المدعوين توجد عندهم قابلية أفضل واستعداد أحسن لتلقي الدعوة ، وفهمها واستيعابها(٢) ، وهذا هو مطلب كل داعي.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ ينخو لنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا(٣).

وهذا التحول بالموعظة من النبي ﷺ كما يعلله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، إنما كان من أجل السآمة ، وهو أمر مقصود ، فكثرة المواعظ المتتابعة قد لا تجدي ، بل قد تدعو للسآمة والملل ، وهذا عكس ما يرتجيه الداعية بمواعظه ، لهذا فهو يتجنبه لئلا يؤدي إلى نفرة المدعوين ، وعدم استجابتهم للدعوة(٤)..

لهذا فإن على الداعية الاقتصاد في موعظته ودعوته فلا إفراط ولا

---

١) انظر : فتح الباري ١٩٧/١.

٢) انظر : الأساليب الدعوية في الشمائل النبوية ، وليد بن حسن بذال الرشيدي ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ١٤١٠هـ ، غير منشورة ص ٨٨ ، ودعوة إلى السنة د/ عبدالله ضيف الله الرحيلي ، مرجع سابق ، ص ٩١.

٣) فتح الباري ، مرجع سابق ١٩٧/١ ، الحديث رقم ٧٠.

٤) انظر : البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية ٥٤٧/٥ ، ودعوة إلى السنة د/ عبدالله ضيف الله الرحيلي ، مرجع سابق ص ٩١.

تفريط فخير الأمور الوسط(١).

وقد كان النبي ﷺ يتحين الفرص الدعوية والظروف المناسبة التي يكون فيها التوجيه والدعوة والموعظة أبلغ والاستعداد النفسي للتلقي أكبر ، فما يقال في الأفراح لا يقال في أوقات الأتراح ، وما يقال لمن غلب عليه الرجاء لا يقال لمن غلب عليه الخوف ، وذاك التحين من رسول الله ﷺ لكي تقع الدعوة والموعظة موقعها في النفوس..

فمن تحين للدعوة في يوم فاضل أو شهر أو أيام عيد أو آية تنزل أو حالة تحصل أو قصة تقال ، أو فعل صائب ، أو عمل خير يفعله أحد أصحابه ، أو خطأ يرتكبه أحد من الناس إلى غير ذلك من المناسبات الداعية للتوجيه والتعليم والوعظ(٢).

وسأكتفي بذكر حديثين من أحاديث الرسول ﷺ التي تحين فيها الرسول ﷺ الأوقات المناسبة والظروف المناسبة لتوجيه وتعليم أصحابه.. ومن ذلك :

---

١) انظر : البحوث والدراسات المرجع السابق ص ٢٦٢ ، والأساليب الدعوية في الشمائل النبوية ، مرجع سابق ، ص ٨٨ ، والدعوة إلى السنة ، المرجع السابق ، ص ٩٢.

٢) دعوة إلى السنة ، مرجع سابق ، ص ٩٣.

○ ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية ، والناس كنفتيه فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ، فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ، قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً ، كان عيباً فيه فكيف وهو ميت ، فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم(١).

○ ومنه أيضاً ، ما رواه البخاري ، عن سهل قال : مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع ، قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين ، فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يستمع ، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا(٢).

ففي هذين الحديثين الشريفين تحين الرسول ﷺ الفرص المناسبة لتوجيه وإرشاد أصحابه إلى تفاهة الدنيا ، وإن الأعمال ليست بالمظاهر ، وهذا من سياسته الحكيمة ﷺ ، وحسن توجيهه وإرشاده لأصحابه ، ليلقى هذا التوجيه والإرشاد موقعه في النفس.

ولا شك أن هذا التحين من مستلزمات أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تيسيراً على المدعوين.

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الزهد ٩٣/١٨. حديث ٢٩٥٦.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٥/٩ ، كتاب النكاح باب الاكفاء في الدين الحديث رقم ٥٠٩١.

المبحث الثالث
ضمان نجاح الدعوة واستمرارها

من المؤكد أن لأسلوب التدرج في الدعوة إلى الله أعظم الأثر في ضمان نجاح الدعوة واستمرارها في كل زمان ومكان ، لأنه يؤدي إلى ترسيخ الدعوة في نفوس المدعوين ، لمراعاته التخفيف على الناس ، ترغيباً لهم ، وتيسيراً عليهم ، فيتلطف معهم ، ويسير بهم حسبما ينفعهم ويقرب من تباعدهم ، ويكف من جموحهم ، تنقلا بهم من الأهم إلى المهم ، ومن السهل إلى الصعب ، متدرجاً بهم إلى الكمال رويداً رويداً..

فكلما نجح في هدم باطل انتقل إلى هدم آخر ، وهكذا حتى انتهى إلى ترسيخ الدعوة في نفوس المدعوين ، وطهرهم من الأرجاس كلها ، بدون عنت ولا مشقة ، وفطمهم عن تلك الأرجاس تدريجياً ، وكانت تلك سياسة رشيدة لا بد منها في تربية هذه الأمة الرشيدة(١).

وقد سبق أن بينت أن أسلوب التدرج منهج لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، استخدموه في دعوة قومهم ، وكذلك فعل نبينا محمد ﷺ وأمر أصحابه بذلك ، ولولا أهمية هذا الأسلوب في نجاح الدعوة واستمرارها ، لما كان منهجاً اتبعه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولهذا فقد رتب النبي ﷺ دعوته وتدرج بهم خطوة خطوة ، حيث بدأ دعوته بالاتصالات الشخصية والاجتماعات السرية ، ثم بدأ بدعوة الأقربين

---

١) انظر : أسباب نجاح الدعوة ، مرجع سابق ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢.

ثم إعلان الدعوة في تجمع عام ، واستمرارية هذا الاعلان في النوادي وفي التجمعات وحتى في البيوت ، ثم نشر الدعوة بأسلوب الهجرات وذهابه إلى الطائف ، وعرض نفسه على القبائل ، ثم الانتقال بالدعوة إلى المدينة وتأسيس المجتمع الايماني ، عن طريق المؤاخاة ، وبناء المسجد ، وعقد المعاهدة ، ثم استخدام أسلوب الجهاد لنشر الدعوة ، ثم نشر الدعوة عن طريق ارسال الرسل والمكاتبات ، وكل هذه الخطوات التي اتخذها الرسول ﷺ بتوجيه إلهي ما هي إلا لضمان نجاح الدعوة واستمرارها.

ولعل هذا ما أشارت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها ، عندما قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا : لقالوا : لا ندع الزنى أبداً..(١).

ومما سبق عرضه يتضح أن أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى من أهم الأساليب الدعوية التي ينبغي على الدعاة استخدامها ، لضمان نجاح الدعوة واستمرارها.

ولأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى المدعوين وزاد إقبالهم عليه بخلاف ضده.

---

١) انظر : فتح الباري ، مرجع سابق ، كتاب فضائل القرآن ٨/٦٥٥. باب تأليف القرآن ، رقم الحديث ٤٩٩٣.

المبحث الرابع
مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم

إن معرفة طبائع الناس وميولهم وتغذية هذه الطبائع بما يناسبها من أنجع الأساليب الدعوية في استمالة المدعوين واستجابتهم لقبول الحق ، ولا شك أن أسلوب التدرج يراعي هذه القدرات والاستعدادات ، لما لها من آثار طيبة في استمالة المدعوين ، وترغيبهم في الخير والهدى ، وبالتالي قبولهم له..

ومن الحمق أن يظن أن الناس متساوون في القدرة والأفهام ، إذا ما خوطبوا على درجة واحدة من الخطاب(١). لأنهم ليسوا سواء في القدرات والاستعداد والاستجابة ، فمنهم السريع جداً في الاستجابة ، بحيث يقبل الحق بدون تردد كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حينما دعاه رسول الله ﷺ للايمان ، ومنهم البطيء جداً في الاستجابة لقبول الحق ، والأمثلة على هذا كثيرة ، ويكفي مثالا ما قصه الله علينا من أخبار قوم نوح ، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ومع ذلك لم يؤمن إلا القليل(٢) ، كما قال تعالى : ﴿... وما آمن معه إلا قليل﴾(٣).. ومنهم ما بين هذين الحدين في درجات كثيرة تستعصي على العد والاحصاء(٤).

---

١) انظر تفسير آيات الاحكام ، لمحمد علي السايس ، مقرر السنة الثالثة ، ٣/٥٧.

٢) أصول الدعوة ، لعبدالكريم زيدان ، مرجع سابق ص ٣٧٦-٣٧٨ ، بتصرف.

٣) سورة هود ، الآية : ٤٠.

٤) أصول الدعوة ، لعبدالكريم زيدان ، مرجع سابق ، ص ٣٧٦-٣٧٨.

وقد كان النبي ﷺ يهتم بمعرفة طبائع الناس لما لها من سرعة في التأثير على الفرد ومن تأمل أجوبته ﷺ لأسئلة السائلين وأفراد المستفتين ، يرى أنها كانت تتنوع بحسب الأحوال والأشخاص والمعاملات والأعراف.. كما في الصحيحين وغيرهما ، عن أفضل الأعمال ، فأجاب كل سائل عن قضيته بما رآه ﷺ أنفع له ، وأخص به(١).

وما ذلك إلا لأنه ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم ، حيث أن الكلام الذي لا يبلغ عقول المدعوين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم ، فيأتي بغير ما يرتجيه الداعي من دعوته(٢).

قال علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.. وهذا يقتضي مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم.. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة(٣).

ولهذا كان النبي ﷺ يخاطب المدعوين بما يدركون ، فيفهم البدوي الجافي بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته ، كما أنه كان يراعي تفاوت المدارك وانتباه المدعوين ، وقدراتهم الفطرية ، والمكتسبة ، فتكفي منه الإشارة الى الألمعي الذكي واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد(٤).

---

١) الدعوة إلى الله في سورة الروم ، ص ١٠٠ ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، مرجع سابق.

٢) أصول الحديث ، علومه ومصطلحه ، د/ محمد عجاج الخطيب ، ص ٦١-٦٢ بتصرف.

٣) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ١/٢٧٢.

٤) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، د/ محمد عجاج الخطيب ، ص ٦١-٦٢ ، بتصرف يسير.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، فقال النبي ﷺ ، هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقاً ، قال : فإنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق ، قال ، وهذا عسى أن يكون نزعه عرق(١).

لقد اقنع النبي ﷺ ذلك الرجل بصحة ما أنكره بقياس ذلك على ما اعتاده من حياته العملية ، وبيئته..

وكان ﷺ أيضاً يخاطب الأحاسيس والعواطف ، كما يخاطب العقول ويحرك المشاعر الانسانية ، ويهزها ، كما كان يوقظ النفوس من غفوتها ، ويعالج الأمور بحكمة وأناة(٢).

ومن ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مه مه ، فقال له : ادنه ، فدنا منه قريباً ، قال : اتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم.. قال : أفتحبه لعمتك

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب اللعان ، الحديث رقم ١٥٠٠ ، ١٣٣/١٠ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد ، رقم الحديث ٥٣٠٥ ، ٣٥١/٩.

٢) انظر : أصول الحديث ، المرجع السابق ص ٦٢.

؟ قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(١).

في هذا الحديث الشريف استخدم الرسول ﷺ الأسلوب العاطفي والعقلي معاً ، حيث جعل الفتى يدرك أثر الزنى في المجتمع ، وكيف أن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم ، كما أنه هو لا يرضاه لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالاقلاع عنه وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس(٢).

وعلى كل ، فإن أسلوب التدرج في الدعوة إلى الله تعالى له أثر كبير في مراعاة قدرات المدعوين ، واستعداداتهم ، لأنه يتطلب مراعاة الأمور التالية:

١- مراعاة الموقف الدعوي ، حيث أنه له جوانب متعددة يكون في بعضها سهلا سائغاً ، وفي بعضها الأخر صعباً مراً ، وأسلوب التدرج يقتضي أن يبدأ بالأمور السهلة ، ويتحاشى الأمور الصعبة ، عملا بقول ﷺ (٣) : بشروا ولا تنفروا (٤) وقوله : إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين(٥).

---

١) أخرجه أحمد في المسند ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ٥/٢٥٦-٢٥٧.

٢) أصول الحديث ، مرجع سابق ص ٦٣.

٣) انظر منهج الدعوة إلى الله ، أمين احسن اصلاحي ص ٨٨.

٤) انظر : فتح الباري ١/١٩٧ ، سبق تخريجه ص ١٧١.

٥) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ، الحديث رقم ٢٢٠ ، ١/٣٨٦.

٢- أن يتجنب الداعية كل ما من شأنه إثارة الحمية الجاهلية عند المدعوين كأن يقوم بالهجوم المباشر على عقائدهم ، لأن هذا ينافي أسلوب التدرج(١).. قال تعالى : ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم**﴾(٢).

٣- أن أسلوب التدرج يقتضي أن يراعي الداعية حال من يوجه له الدعوة من حيث تفخيم الخطاب أو جوانب العظمة ، حيث أن لكل نفس مدخل فعليه أن يراعي هذه المداخل لتلقى الدعوة قبولا واستجابة من المدعو.

٤- مراعاة استعداد المدعو للتلقي ورغبته في القبول ، ومقدار أهليته للفهم لأن الناس مختلفين في الأفهام والقدرات ، وأسلوب التدرج يراعي ذلك ويعطي لكل مدعو ما يناسبه فهماً وحفظاً وإدراكاً(٣).

٥- إذا تمادى المدعو في الاعتراض والانتقاد والسخرية والاستخفاف بالدعوة ، فعلى الداعية أن ينهي الحوار معه وينتظر الوقت المناسب عندما يعود المدعو إلى هدوء وصفاء وتماسك(٤) ، قال تعالى : ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾(٥).

٦- مراعاة عدم تقديم الدعوة إذا كان المدعو مشغولا بشأنه ، منقطعاً إلى

---

١) انظر منهج الدعوة ، المرجع السابق ص ٨٩-٩١.

٢) الأنعام ، الآية : ١٠٨.

٣) انظر : منهج الدعوة ، مرجع سابق ص ٨٩-٩١.

٤) انظر : منهج الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٩٢-٩٣.

٥) الأنعام ، الآية : ٦٨.

أمر حبيب لديه ، يعز عليه أن يرغب عنه إلى الدعوة.

٧- أن يتجنب الداعية كل ما من شأنه أن يتسبب في ملل المدعو وسآمته سواء كان ذلك بالتكرار المسرف أو الاطالة التي لا حاجة إليها(١).

٨- على الداعية تقديم الدعوة كلما واتته الفرصة المناسبة في كل وقت ، وفي كل مكان ، لأن تقديم الدعوة في الوقت المناسب أدعى لقبولها والاستجابة لها.

٩- على الداعية أن يستخدم مع المدعوين أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، حسب حال كل منهم ، وما يتطلب من أسلوب.

١٠- أن يقوم الداعية بعرض الدعوة على المدعو بأسلوب لبق ليسد على المدعو منافذ التمادي ، ويفتح عليه آفاقاً من الخير والرشد ، إذا رأى منه حاجة وتمادي ، كما فعل ابراهيم عليه السلام مع النمرود(٢).. قال تعالى : **﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم رب الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(٣).

---

١) انظر منهج الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٩٣.

٢) انظر : منهج الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٩٣-٩٥.

٣) البقرة ، الآية : ٢٥٨.

المبحث الخامس
أثر التدرج في الخطاب والتربية

سبق وأن تحدثت في المبحث الثالث من الفصل الأول عن كيفية التدرج في الخطاب والتربية.. وفي هذا المبحث سأحاول تسليط الضوء على أثر ذلك التدرج في الخطاب وفي التربية ، فأقول..

لا شك أن للتدرج في مخاطبة المدعوين وفي تربيتهم آثار عظيمة في الدعوة إلى الله تعالى ، منهما ما يلي:

١- أن التدرج في الخطاب والتربية عامل أساسي في تمكين الدعوة في قلوب الناس ، وسريانها إلى عقولهم وقلوبهم ، في جو من الهدوء المطمئن واليقين المؤمن ، وراحة النفس ، وسكون الضمير ، ودون إثارة للمعوقات التي قد يلجأ إليها مناهضوا الدعوة(١).

٢- إقبال المدعوين على الدعوة واستجابتهم لها ، وازدياد أعدادهم يوماً بعد يوم ، والثبات على الدعوة بعد الدخول فيها ، ثبات الجبال الراسيات ، حيث قارعوا بها الأقربين والأبعدين ، وجميع من خالف فكرهم ومعتقدهم الإسلامي ، الذي آمنوا به ، واتبعوه بعد أن كانوا يقارعون كل من خالف فكرهم ومعتقدهم الجاهلي ، بكل قوة ، وأصبحوا بعد تحولهم إلى الاسلام

---

١) محمد رسول الله ، محمد الصادق العرجون ، ص ١٥٨ بتصرف.

أشد تمسكاً به مما كانوا عليه من ذي قبل.. ولعل هذا(١) المعنى يشير إليه الحديث الشريف التالي:

تجدون الناس معادن ، فخيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه(٢).

٣- إعطاء المدعوين الفرصة الكافية للتخلي عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة ، وعاداتهم المرذولة ، وإحلال العقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة محلها ، بعد أن يتجردوا عما هم فيه من شرك وجهل وضلال شيئاً فشيئاً.. كلما نجح في هدم باطل انتقل بهم إلى هدم آخر ، وهكذا حتى طهرهم من تلك الأرجاس وهذب نفوسهم بالايمان ، وعودهم على التحلي بالاخلاق الفاضلة ، وما ذلك إلا بفضل الله تعالى أولا ، ثم بفضل هذه التربية المتدرجة التي كان لها أعظم الأثر في تحويلهم عما كانوا عليه ، من جهل ، وشرك ، وضلال ، وعادات سيئة ، إلى الاسلام ، بكل عاداته وأخلاقه الحميدة(٣).

ويتضح ذلك مما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي حيث قال له : أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبدا لأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا

---

١) انظر : أسباب نجاح الدعوة ، ص ٢٨٣ ، ٣٣٤.

٢) مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب خيار الناس ، حديث رقم ٢٥٢١ ، ١٦/٧٨-٧٩

٣) انظر :أسباب نجاح الدعوة ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

أشد تمسكاً به مما كانوا عليه من ذي قبل.. ولعل هذا(١) المعنى يشير إليه الحديث الشريف التالي:

تجدون الناس معادن ، فخيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه(٢).

٣- إعطاء المدعوين الفرصة الكافية للتخلي عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة ، وعاداتهم المرذولة ، وإحلال العقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة محلها ، بعد أن يتجردوا عما هم فيه من شرك وجهل وضلال شيئاً فشيئاً.. كلما نجح في هدم باطل انتقل بهم إلى هدم آخر ، وهكذا حتى طهرهم من تلك الأرجاس وهذب نفوسهم بالايمان ، وعودهم على التحلي بالاخلاق الفاضلة ، وما ذلك إلا بفضل الله تعالى أولا ، ثم بفضل هذه التربية المتدرجة التي كان لها أعظم الأثر في تحويلهم عما كانوا عليه ، من جهل ، وشرك ، وضلال ، وعادات سيئة ، إلى الاسلام ، بكل عاداته وأخلاقه الحميدة(٣).

ويتضح ذلك مما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي حيث قال له : أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبدا لأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا

---

١) انظر : أسباب نجاح الدعوة ، ص ٢٨٣ ، ٣٣٤.

٢) مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب خيار الناس ، حديث رقم ٢٥٢٦ ، ١٦/٧٨-٧٩

٣) انظر :أسباب نجاح الدعوة ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قالت فعدد عليه أمور الاسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرم ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك(١).

في هذا النص دلالة واضحة ، واعتراف صريح بالتحول الذي تم بمجيء الاسلام ، والدعوة إليه ، عقيدة ، وأخلاقاً ، وسلوكاً ، كما هو واضح من النص ، وما ذلك إلا بفضل الله أولا وتوفيقه ثم بفضل المنهج الحكيم الذي اتبعه الرسول الكريم ﷺ حيث تدرج في مخاطبة المدعوين وفي تربيتهم تبعاً لمنهج القرآن الكريم في ذلك ، فكانت النتيجة الثبات على الدعوة والتمسك بها مهما لاقوا في سبيل ذلك من مشاق ومتاعب.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، استطاعوا بفضل هذا التدرج في

---

١) تهذيب السيرة لابن هشام ، عبدالسلام هارون ص ٨٤-٨٥.

الخطاب والتربية ، التخلص من عادات ورواسب الجاهلية شيئاً فشيئاً وحلت محلها العادات الإسلامية ، والأخلاق الفاضلة ، التي تدعو إلى التراحم ، والتعاطف ، والتوادد ، والأخوة ، بدلا من العصبية والثارات التي كانت في المجتمع الجاهلي.. وصاروا أمة واحدة ، تجمعهم رابطة العقيدة ، لا رابطة النسب أو خلافها ، من عادات الجاهلية.

٤- سرعة انتشار الإسلام وامتزاجه بالنفوس ، لمجيء الدعوة على التدريج شيئاً فشيئاً ، ولم تأت جملة واحدة ، لئلا يؤدي ذلك إلى نقيض المقصود ، وإماتة الدعوة في مهدها ، لعدم وجود أنصار يعتنقونها ، ويدافعون عنها ، ويقومون بنشرها.. وذلك لأن الطفرة من نوع المستحيل الذي لا يطيقه الانسان..

لهذا كان التدرج في الخطاب والتربية له أثر كبير في سرعة انتشار الاسلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً.. لأن فيه تسهيلا على الناس ، وترغيباً لهم في الاسلام ، مما دفعهم إلى الدخول فيه ، والاستجابة له ، ومن ثم نشره والدفاع عنه والجهاد دونه(١).

٥- تعويد المدعوين على النظام والسمع والطاعة ، حتى كان الرجل منهم لا يفعل شيئاً أو يهم به حتى يستأذن(٢).. قال تعالى : **﴿إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنَّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله**

---

١) انظر : أسباب نجاح الدعوة ، مرجع سابق ص ٢٨٢-٢٨٣.

٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة ، بتصرف ص ٨٤.

ورسوله﴾(١).

٦- تمكين الداعية من الوصول إلى الأهداف بأقصر الطرق وبأكثر النتائج وأقل الخسائر ، مع تقريب القلوب من الدعوة والدعاة ، وإزالة الشحناء والبغضاء(٢).. قال تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حَمِيمٌ ○ وما يُلَقَّاها إلاَّ الذين صبروا وما يُلَقَّاها إلاَّ ذو حظٍ عظيم﴾(٣).

٧- عدم التعجل في النتائج وقطف ثمار الدعوة تأسياً برسول الله ﷺ الذي ربى اصحابه على ذلك..

فقد كان ﷺ يأمرهم بالثبات والصبر والمجاهدة ، حتى يأتي فتح الله ونصره.. إذ أن العجلة في قطف الثمار قد تميت الدعوة في مهدها(٤).

لذا كان التدرج في الخطاب والتربية بتربية الأمة الاسلامية على التأني في الدعوة وتقديمها شيئاً فشيئاً لضمان نجاحها وسرعة انتشارها وتأثيرها ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى النفوس ، وتلقته بالقبول والاستجابة رغبة واشتياقاً ، وكانت عاقبته في الغالب الازدياد بخلاف ضده.

٨- مساعدة المدعوين على التدرب على تحمل المشاق وتحمل الأذى وضبط الارادة وألا تكون تصرفاتهم ردود فعل ، كما ساعدهم في التدرب على الالتزام بما يرد عن الله ، والانضباط مع أوامر رسوله ﷺ ، مما أدى

---

١) النور ، الآية : ٦٢.

٢) المدخل إلى علم الدعوة ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧.

٣) فصلت ، الآية : ٣٤-٣٥.

٤) منهج الرسول في تكوين الدعاة ، مرجع سابق ، ص ٢٩ بتصرف يسير.

إلى تكوين قاعدة صلبة للاسلام ، كانت دافعاً للتأمل من قبل المشركين ، حيث أن الصبر الذي تحلى به المؤمنون الأوائل ، والثبات على المنهج ، كان يدخل إلى نفوس المشركين من حيث لا يشعرون ، بالاعجاب والإكبار ، الأمر الذي يدعوهم إلى النظر في تلك الدعوة التي يؤمن بها المؤمنون ، ويموتون في سبيلها مضحين بكل شيء(١).

ooo

oo

o

---

١) السيرة النبوية ، تربية أمة ، مرجع سابق ، ص ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، بتصرف.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع ، فله الحمد والمنة أولا وآخراً ، وأصلي وأسلم على سيد الدعاة وخاتم المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد ،

فقد بذلت كل ما في وسعي وسمح به الوقت وتوصل إليه فهمي المتواضع لإخراج هذا البحث بهذه الصورة ، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك ، ولا أدعي الكمال ، فالكمال لله وحده ، وحسبي أني قد حاولت التسديد والمقاربة ، وبذلت الجهد ما استطعت بتوفيق الله تعالى ، فإن أصبت فذلك فضل من الله ومنة ، وإن أخطأت أو قصرت فذلك طبيعة البشر ، وأستغفر الله وأسأله أن يتجاوز عن التقصير ، ويغفر الزلل ، وله سبحانه الثناء الحسن وإليه يرجع الأمر كله.

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث فمنها ما يلي:

١- أن التدرج في أساليب الدعوة يعني تقديمها للمدعوين شيئاً فشيئاً حسبما تقتضيه ظروفهم وتقتضي أحوالهم.

٢- أن الدعوة الإسلامية تميزت بالتدرج في أساليبها التي تأخذ الإنسان تدريجياً إلى ما فيه الهدى والرشاد ، ولم تأخذ في منهجها توجيه

الناس دفعة واحدة ، لأن النفس يشق عليها ترك ما تعودت عليه بمجرد الأمر والنهي جملة واحدة.

٣- أن التدرج في أساليب الدعوة مستمد من الكتاب والسنة ولهذا كان ولا يزال من أهم أسباب نجاح الدعوة ، والدليل على ذلك تدرج القرآن الكريم في قضية تحريم الخمر ، وطلب النبي ﷺ من معاذ رضي الله عنه أن يتدرج مع من أرسل إليهم بأن يقولوا أولا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم بعد ذلك يطالبهم بإقام الصلاة ، ثم الزكاة ، وهكذا...

٤- إن التدرج في اساليب الدعوة ينبغي أن ينتظم في خطة مدروسة وذلك بعرض أصول الدعوة المراد تبليغها للمدعوين وشرحها بإجمال مع مراعاة قوة إدراك المدعوين واستعدادهم لقبول الدعوة ، ثم الانتقال من الاجمال في الشرح الى البسط والتوسع ، وأخيراً عرض دقائق تلك الدعوة وبيان ما اعتورها من خلافات ، وما تفرع عنها من مسائل.

٥- إن التدرج في أساليب الدعوة منهج تربوي إسلامي يراعي قدرات المدعوين واستعداداتهم لقبول الحق والاستجابة له ، فلا يكلف المدعوين مالا يستطيعون.

٦- أن أساليب التدرج تقتضي من الداعية أن يعمد إلى إصلاح أخطر الأمراض الفاشية في مجتمعه بعد أن يفرغ من إصلاح العقائد تأسياً برسل الله عليهم الصلاة والسلام.

٧- أن أنبياء الله ورسلهم عليهم صلوات الله وسلامه وعلى رأسهم خاتمهم محمد ﷺ قد استخدموا التدرج في أساليب الدعوة إلى الله ، بدءاً بتقديم الأهم على المهم ، فما من نبي إلا وبدأ بدعوة قومه إلى التوحيد

الخالص وعمل على تثبيت العقيدة في نفوس المدعوين فإذا ما استجاب المدعوون وآمنوا بتلك العقيدة واستقرت في النفوس والقلوب ، جاءت التكاليف ووجوه الإصلاح الأخرى بعد ذلك ، شاملة كل نواحي الحياة ، اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية ، أو غيرها. لأن الفرع يستقيم باستقامة أصله ، والتوحيد هو الأصل الذي ينبني عليه غيره في جميع المجالات ، دينية كانت أو دنيوية.

٨- إن التدرج في أساليب الدعوة يتيح للداعية فرصة كبيرة لتعهد المستجيبين للدعوة الإسلامية بما يكفل لهم المناعة ضد دائهم القديم وهو الشرك وذلك بتبصيرهم بمعالم الدين الإسلامي الحنيف ، وتثبيتهم عليه تدريجياً ، بدعوتهم إلى الإسلام وتعليمهم معالمه ومعانيه ، وإنكاره شيئاً فشيئاً ، وحملهم على العمل بما تعلموه ، وصياغة سلوكهم بموجبه ومقتضاه.

٩- أن المنهج الذي سار عليه أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه وطبقه رسول الله ﷺ وأمر به أصحابه أن تكون أساليبهم في تقديم الدعوة شيئاً فشيئاً إلى المدعوين ، وعلى الداعية أن يقتدي بهم ، فليس من المعقول أن يطلب الداعية من المدعوين تنفيذ كل الفرائض والتكاليف جملة واحدة ، لأن ذلك يشق على النفس ، ويؤدي إلى نفور المدعو وعدم استجابته ، وهو أمر يعمل الداعية على تحاشيه.

١٠- إن استخدام التدرج في الأساليب الدعوية يؤدي إلى سرعة انتشار الإسلام وامتزاجه بالنفوس.

١١- إن التدرج في أساليب الدعوة يراعي التيسير الذي جاءت به الشريعة الإسلامية لتكون الدعوة سهلة ميسورة لكل من أراد الله هدايته.

١٢- إن إستخدام التدرج في الأساليب يؤدي إلى ترسيخ الدعوة في النفوس والقلوب ، لأنه يراعي طبيعة المدعوين وقدرتهم على الحفظ والفهم والتطبيق.

١٣- بالتربية المتدرجة استطاع الرسول ﷺ أن يبني مجتمعاً مسلماً يعتبر أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ.

١٤- إن التدرج في الأساليب يتطلب من الداعية أن يكون واضح الهدف ، ناضج الفكرة ، مرتباً دعوته ترتيباً منطقياً يخاطب كل مدعو بما يناسبه ، متجنباً غريب الأساليب والتعقيدات التي تجعل المدعوين ينفرون من دعوته ويرفضونها ، لعدم فهمهم لها ، لصعوبة عرضه لها وركاكة أسلوبه في تبليغها.

١٥- إن التدرج في الأساليب يؤدي إلى التحرك في الوقت المناسب خدمة للدعوة وحفاظاً على مستقبلها.

١٦- إن استخدام الرسول ﷺ للتدرج في أساليب الدعوة جزء من سياسته الحكيمة وكياسته البصيرة ، مراعاة للظروف التي تقتضي ذلك ، وتعليماً للدعاة من بعده وإرشاداً لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والحذر والأسباب الظاهرة والوسائل الموضوعية التي تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها وأيضاً ليعطي درساً عملياً لكل من يتصدى لدعوة إصلاح ، ولكل داع بأن يستخدم التدرج في دعوته إلى الله تعالى.

١٧- يجب ألا يكون التدرج في الأساليب الدعوية عذراً لكل من أراد أن يتجاوز النصوص الشرعية فيحلل ويحرم أو يخالف النصوص الشرعية بحجة أنه يتدرج مع المدعو ، بل يجب أن يتدرج مع المدعو في حدود ما

قرره الشرع الإسلامي.

١٨- أن يراعي الداعية عند استخدامه للتدرج في الأساليب طبيعة المخاطبين في انتقاء اللفظ والمعنى ، والإطالة ، والإيجاز ، والأسلوب ، وطريقة العرض ، ليكون ذلك أدعى لقبول الدعوة .

وأما التوصيات والمقترحات فهي كما يلي:

١- أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة بتقوى الله عز وجل والإخلاص له في القول والعمل.

٢- على الداعية أن يستخدم التدرج في أساليب دعوته إلى الله عز وجل تأسياً بأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم في حدود قواعد الشرع الإسلامي.

٣- على الداعية أن يتحلى بحسن الخلق ويسدي النصيحة خالصة من الشوائب طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

٤- على الداعية أن يراعي في سلوكه أشد المراعاة كل كلمة وتصرف يصدر منه ، فالسلوك يؤثر أكثر من الكلمات ، ولا شك أن مجرد إلتزام الداعية بالإسلام هو دعوة ، فكيف إذا صاحب ذلك الالتزام دعوة فيها أمر ونهي.

٥- يجب أن يتحلى الدعاة بالحلم والتغاضي عما ينالهم من الأذى في سبيل دعوتهم إلى الله ، وأن يصبروا ولا ييأسوا ، اقتداء بأئمة الدعاة رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، واحتساب ذلك عند الله تعالى.

٦- على الداعية أن يبين دعوة الله برفق ويوضح الأدلة التي تؤيدها

ويجعلها أدلة بسيطة ، لأن التلطف في العبارة ، ولين الجانب ، وحسن التأني في الدعوة إلى الخير.

٧- على الداعية أن يلم بأحوال المدعوين لضمان سرعة التفاعل والتأثير بينه وبينهم.

٨- على الداعية أن يعقد العزم والتصميم على الإستمرار بالدعوة وألا ييأس بسبب عدم استجابة المدعوين للدعوة.

٩- أوصي بدراسة التدرج في الأساليب الدعوية دراسة متوسعة من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ، إذ أن الموضوع في حاجة ماسة إلى إخراجه للناس في صورة موسعة من جميع جوانبه ، وما كتبته ما هو إلا فتح للباب أمام الباحثين.

١٠- أقترح عقد دورات تدريبية للعاملين في مراكز الدعوة ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لرفع مستواهم العلمي وتدريبهم على كيفية إستخدام التدرج في أساليبهم الدعوية في دعوتهم إلى الله عز وجل.

وفي ختام بحثي هذا أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد المقل خالصاً لوجهه ، وأن يكون حجة لصاحبه لا حجة عليه ، وأن ينفع به من اطلع عليه ، والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصبحه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

المراجـــــــع

- أ -

١- ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام

مجموعة الفتاوى ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب.

٢- إصلاحي : أمين أحسن

منهج الدعوة إلى الله ، دار نشر الكتاب الاسلامي ، الكويت.

٣- الألوري : آدم عبدالله

تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ مكتبة وهبة ، القاهرة.

٤- أنيس : إبراهيم ورفاقه

المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية.

٥- الجزائري : أبي بكر جابر

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ نادي المدينة المنورة الأدبي.

٦- حسين : أبو لبابة

التربية في السنة النبوية ، منشورات دار اللواء ، الرياض.

٧- الدمشقي : اسماعيل بن عمر بن كثير

○ قصص الأنبياء ، الطبعة الأولى ، دار الاتحاد للنشر والتوزيع ، القاهرة.

٨- الدمشقي : اسماعيل بن عمر بن كثير

○ تفسير القرآن العظيم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان.

٩- الدمشقي : اسماعيل بن عمر بن كثير

○ البداية والنهاية في التاريخ ، مكتبة الفلاح ، الرياض ، ومطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة.

١٠- **الدمشقي : اسماعيل بن عمر بن كثير**

○ السيرة النبوية ، طبعة ١٤٠٣هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

١١- **زكريا : أحمد بن فارس**

معجم مقاييس اللغة ، طبعة ١٣٩٩هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢- **الشيباني : أحمد بن حنبل**

مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال ، الطبعة الرابعة ، المكتب الاسلامي ، بيروت.

١٣- **الصاوي : أمينة وعبدالعزيز شرف**

نظرية الاعلام في الدعوة الاسلامية ، دار مصر للطباعة.

١٤- **عبيد : أحمد محمد**

منهج الرسل الكرام والدعوة الى الله في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٣هـ.

١٥- **العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر**

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ دار الريان للتراث ، مصر ، القاهرة.

١٦- **الغرناطي : ابراهيم بن موسى اللخمي**

الموافقات في أصول الشريعة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

١٧- **المراغي : أحمد مصطفى**

تفسير المراغي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر.

١٨- **المفضل : الحسين بن محمد المشهور بالراغب الأصفهاني**

مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، والدار الشامية للطباعة والنشر ، بيروت.

١٩- **المقري : أحمد بن محمد بن علي**

المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير للرافعي ، طبعة ١٣٦٩هـ مصطفى

البابي الحلبي و أولاده بمصر.

٢٠- هاشم : أحمد عمر

الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها ، دار غريب للطباعة ، القاهرة.

- ب -

٢١- البستاني : بطرس

محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية ، طبعة ١٩٨٣م ، مكتبة لبنان ، بيروت.

٢٢- القرشي : بريكان بركي

القدوة ودورها في تربية النشء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

٢٣- محمد : بشير محمد أحمد

الموعظة الحسنة و أثرها في الدعوة الى الله ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ١٤٠٣هـ. غير منشور.

٢٤- البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية.

- ت -

٢٥- الواعي : توفيق يوسف

الدعوة إلى الله والرسالة الوسيلة ، الهدف ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح ، الكويت.

- ج -

٢٦- الا شار : جلال سعد

فن الدع ة إلى الله في ضوء السيرة النبوية في العهد المكي ، طبعة ١٤١٢هـ دار أبو الم جد للطباعة.

٢٧- عبدالعزيز : جمعة أمين

○ الدعوة قواعد وأصول ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية.

٢٨- عبدالعزيز : جمعة أمين

○ منهج القرآن الكريم في عرض عقيدة الإسلام ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع ، الاسكندرية.

- هـ -

٢٩- آل الشيخ : حسن عبدالله حسن

دعوة صالح عليه السلام ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤٠٣هـ.

٣٠- الرحيلي : حمود بن أحمد بن فرج

○ منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٦هـ.

٣١- الرحيلي : حمود بن أحمد بن فرج

○ منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٤٠٣هـ.

٣٢- عبدالظاهر : حسن عيسى

من نبأ المرسلين ، هود ويوسف عليهما السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ دار الثقافة ، الدوحة.

٣٣- غيطاس : حسني محمد إبراهيم

الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق.

٣٤- مصطفى : حسين عبدالقادر يوسف

دعوة سيدنا شعيب عليه الصلاة و السلام في القرآن الكريم ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤٠٢هـ.

٣٥- انهجاري : حمدان راجح

الأسلوب النبوي في الدعوة ، طبعة ١٤٠٧هـ ، دار الهدى للطباعة ، مصر.

- ر -

٣٦- شلبي : رؤوف

الدعوة الإسلامية في عهده المكي ، مناهجها وغاياتها ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ دار القلم ، الكويت.

٣٧- المدخلي : ربيع بن هادي

منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. الدار السلفية ، الكويت.

- ز -

٣٨- الألمعي : زاهر عواض

مناهج الجدل في القرآن الكريم ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض.

٣٩- السعدون : زياد بن محمد

من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دار الوطن للنشر ، الرياض.

٤٠- المصري : زكريا عبدالرزاق

وحدة الأمة الإسلامية على أسس صحيحة وواقعية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت.

- س -

٤١- الخضر : سليمان محمد

منهج الرسول ﷺ في تكوين الدعاة وإعدادهم ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ، ١٤١٢هـ.

٤٢- الشافعي : سليمان بن عمر العجيلي

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، طبع عطية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بمصر.

٤٣- الشنقيطي : سيد محمد ساداتي

وظيفة الاخبار في سورة الانعام ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض.

٤٤- **صيني : سعيد اسماعيل**

مدخل الى الاعلام الاسلامي ، طبعة ١٤١١هـ دار الحقيقة للاعلام الدولي ، دار السلام ، القاهرة.

٤٥- **القحطاني : سعيد بن علي بن وهف**

الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، مطبعة سفير الرياض توزيع مؤسسة الجريسي ، الرياض ، الدمام ، القصيم.

٤٦- **قطب : سيد**

في ظلال القرآن : الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ دار العلم للطباعة والنشر ، جدة.

٤٧- **محمد : سعد صادق**

الأنبياء في القرآن ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض.

- ص -

٤٨- **الدرويش : صالح**

فقه الدعوة إلى الله ، ضوابط المصلحة والمفسدة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دار طيبة الرياض.

٤٩- **الشامي : صالح أحمد**

السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمان.

٥٠- **الفوازن : صالح بن فوزان بن عبدالله**

ثلاث محاضرات في العلم والدعوة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، مكتبة ابن خزيمة ، توزيع مؤسسة الجريسي ، الرياض ، الدمام، القصيم.

٥١- **المباركفوري : صفي الرحمن**

الرحيق المختوم ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جدة

٥٢- صواب : صالح بن يحيى
الدعوة الفردية ، أهميتها ، حالاتها ، عوامل نجاحها ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مطبعة سفير ، الرياض.

- ع -

٥٣- اسماعيل : عبدالخالق إبراهيم
○ دعوة محمد ﷺ ، مكتبة حمادة بهرية رزقة الزقازيق جمهورية مصر العربية.

٥٤- اسماعيل : عبدالخالق إبراهيم
○ مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها وبعض رجالها ، مكتبة حمادة بهرية رزقة الزقازيق ، جمهورية مصر العربية.

٥٥- اسماعيل : عبدالخالق إبراهيم
○ الدعوة إلى الله ، أصولها وميادينها ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطبعة الأمانة ، مصر.

٥٦- اسماعيل : عبدالخالق إبراهيم
○ دعوة أنبياء الله ورسله من آدم إلى عيسى عليهما السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ مطبعة الأمانة ، مصر.

٥٧- آل موسى : عبدالله بن محمد
أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض.

٥٨- آل نواب : عبدالرب نواب الدين
الدعوة إلى الله تعالى ، دراسة مستوحاة من سورة النمل ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية : بيروت.

٥٩- آي : عبدالقادر جيلاني
دعوة هود عليه السلام ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤٠٤هـ.
٦٠- باحاذق : عمر محمد عمر
أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز والبيان ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤٠٧هـ.
٦١- الجرجاني : علي بن محمد
كتاب التعريفات ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٦٢- جابر : عبدالرحمن أبو بكر
خصائص الدعوة والدعاة في هدي الكتاب والسنة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٤٠٧هـ.
٦٣- حبنكه : عبدالرحمن حسن
o نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية : بيروت.
٦٤- حبنكه : عبدالرحمن حسن
o الأخلاق الاسلامية وأسسها ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ دار القلم ، دمشق
٦٥- الحربي : علي جابر
منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة.
٦٦- الحسن : عبدالله يوسف
ربانية التعليم ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، دار المجتمع ، جدة ، الخبر ، وفي الكويت : دار الدعوة.
٦٧- خوجه : عبدالحميد زين الدين رضا
الدعوة إلى الله في سورة الروم ، رسالة دكتوراة ، غير منشورة ١٤١٠هـ
٦٨- الرحيلي : عبدالله بن ضيف الله
دعوة الى السنة في تطبيق السنة ، منهجاً وأسلوباً ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار

القلم للطباعة والنشر ، دمشق ، والدار الشامية : بيروت.

٦٩- زيدان : عبدالكريم

○ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة بيروت ، مكتبة القدس ، بغداد ، العراق.

٧٠- زيدان : عبدالكريم

○ أصول الدعوة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ومكتبة البشائر : عمان الأردن.

٧١- السعدي : عبدالرحمن بن ناصر

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، طبعة ١٤٠٨هـ دار المدني ، جدة.

٧٢- السلمي : عبيد بن عبدالعزيز بن عبيد

الدعوة إلى الله في سورة العنكبوت ، رسالة دكتوراة غير منشورة ١٤١٠هـ.

٧٣- عبدالسلام : عبدالحكيم

أساليب الدعوة في العهد النبوي ، رسالة ماجستير غير منشورة ١٤٠١هـ.

٧٤- عبدالمجيد : محمود

نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ مكتبة البيان ، الطائف ومكتبة الوادي جدة.

٧٥- علي : متولي

الدعوة في موكب الأنبياء ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، مصر ، ميدان السيدة زينب

٧٦- القرني : عايض

قل هذه سبيلي : الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ دار الوطن للنشر ، الرياض.

٧٧- المغربي : عبدالرحمن بن خلدون

مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان.

٧٨- الندوي : علي الحسني

السيرة النبوية ، طبعة ١٤٠١هـ المكتبة العصرية ، صيدا بيروت.

٧٩- هارون : عبدالسلام
تهذيب سيرة ابن هشام ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، لبنان.
٨٠- الهاشمي : عبدالحميد
الرسول العربي المربي ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ دار الثقافة ، دمشق.
- ف -
٨١- المغذوي : فهد بن عوض شجاع
المنهج العاطفي في الدعوة ، استنباط الأساليب ومجالاته من خلال السنة المطهرة ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤١٠هـ.
- م -
٨٢- ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر
زاد المعاد في هدي خير العباد ، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الاسلامية : الكويت.
٨٣- ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر
اعلام الموقعين عن رب العالمين ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ دار الفكر ، بيروت ، لبنان.
٨٤- ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر
مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة ، توزيع إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض.
٨٥- أبو شهبة : محمد بن محمد
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ دار القلم ، دمشق ، ودار القلم بيروت.
٨٦- أبو فارس : محمد بن عبدالقادر
أسس في الدعوة ووسائل نشرها ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

٨٧- أبي عبدالله : محمد بن سعد
الطبقات الكبرى ، دار بـــــيروت للطباعة و النشر
٨٨- الألوسي : محمود
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.
٨٩- الأنصاري : محمد بن أحمد
الجامع لأحكام القرآن ، طبعة ١٤٠٥هـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٩٠- البغدادي : محمد بن الحسين الفراء
العدة في أصول الفقه ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٩١- البوبي : مرزوق بن سليم مسعود
الدروس الدعوية و السنن الفعلية في صحيح مسلم ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور.
٩٢- البوطي : محمد سعيد رمضان
فقه السيرة ، دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى عليه السلام ، وما تنطوي عليه من عظات ومباديء وأحكام ، طبعة ١٤١٠هـ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
٩٣- البيانوني : محمد أبو الفتح
المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء العقل و النقل ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع.
٩٤- بومي : مصلح سيد
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت.

٩٥- التويجري : محمد بن إبراهيم
الدعوة إلى الله ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام ، الرياض.
٩٦- جاد المولى : محمد أحمد وآخرون
قصص القرآن ، الطبعة الثالثة عشرة ١٤٠٥هـ دار الجيل ، بيروت.
٩٧- الجيوشي : محمد بن إبراهيم
من وسائل الدعوة في العهد المدني ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ دار الطباعة المحمدية ، القاهرة.
٩٨- انجيوشي : محمد بن إبراهيم
مسار الدعوة في العهد المكي ، مطبعة حسان.
٩٩- الجيوشي : محمد بن إبراهيم
مواقف من حياة الرسول ﷺ ، الطبعة الأولى ، دار الهدى للطباعة مصر.
١٠٠- الحبيب : محمد سيدي
الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الوفاء للنشر والتوزيع جده.
١٠١- حجازي : محمد محمود
التفسير الواضح ، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة.
١٠٢- الخطيب : محمد عجاج
أصول الحديث وعلومه ومصطلحه ، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر.
١٠٣- الخطيب : محمد نمر
مرشد الدعاة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
١٠٤- الرازي : محمد بن أبي بكر
مختار الصحاح ، دار المعاجم ، مكتبة لبنان ١٩٨٨م.

١٠٥- رسلان : محمد محمود
فجر الدعوة الإسلامية في مرحلتها المكية ، مكتبة المطبعي للنشر و التوزيع.
١٠٦- رضا : محمد رشيد
تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
١٠٧- الزرقاني : محمد عبدالعظيم
مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر.
١٠٨- زين العابدين : محمد سرور بن نايف
منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ دار الأرقم برمنجهام ، بريطانيا
١٠٩- السباعي : مصطفى
السيرة النبوية دروس وعبر ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ المكتب الاسلامي ، دمشق ، بيروت.
١١٠- السايس : محمد علي
تفسير آيات الأحكام ، مطبعة محمد علي صبيح.
١١١- الشافعي : محمد بن عمر القرشي الملقب بفخر الدين الرازي
التفسير الكبير ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران.
١١٢- الشوكاني : محمد علي
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر.
١١٣- الشيباني : محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد المعروف بابن الأثير:
الكامل في التاريخ : طبعة ١٣٩٩هـ دار صادر بيروت.
١١٤- الصابوني : محمد علي
صفوة التفاسير ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ دار القرآن الكريم بيروت.

١١٥- الطبري : محمد بن جرير
جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة بيروت.
١١٦- الطبري : محمد بن جرير
تاريخ الطبري ، دار سويدان ، بيروت ، لبنان.
١١٧- الطلابي : محمد محمود أحمد سيد آيات
الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مطبعة البلاغ جدة.
١١٨- عاشور : محمد الطاهر
تفسير التحرير والتنوير ، طبعة ١٨٨٤م ، الدار التونسية للنشر ، تونس.
١١٩- العدوي : محمد أحمد
دعوة الرسل إلى الله تعالى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر.
١٢٠- عرجون : محمد الصادق إبراهيم
محمد رسول الله ﷺ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ دار القلم ، دمشق.
١٢١- الغزالي : محمد محمد
إحياء علوم الدين ، المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٢هـ
١٢٢- الغزالي : محمد
فقه السيرة ، الطبعة السابعة ١٩٧٦م. دار الكتب الحديثة ، القاهرة.
١٢٣- الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب
القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
١٢٤- قاسم : محمد زكي الدين محمد
الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.
١٢٥- القشيري : مسلم بن الحجاج بن مسلم
صحيح مسلم بشرح النووي ، طبعة جديدة رقمت الكتب والأبواب والأحاديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٢٦- القطان :
التشريع والفقه في الإسلام ، تاريخاً ومنهجاً ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
١٢٧- المباركفوري : محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، طبعة ١٣٨٤هـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
١٢٨- المصري : محمد بن مكرم بن منظور الافريقي
لسان العرب المحيط ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة ، يوسف خياط ، دار الجيل ، بيروت ، ودار لسان العرب ، بيروت.
١٢٩- نجاتي : محمد عثمان
الحديث النبوي وعلم النفس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة.
١٣٠- النجار : محمد الطيب
تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ مكتبة المعارف ، الرياض.
١٣١- هشام : محمد عبدالملك
السيرة النبوية ، دار إحياء التراث بيروت ، لبنان.
١٣٢- الوكيل : محمد السيد
أسس الدعوة وآداب الدعاة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ودار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، المنصورة.
- هـ -
١٣٣- آل عقدة : هشام بن عبدالقادر بن محمد
الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والأحكام ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ دار الصفوة للنشر ، القاهرة.

- و -

١٣٤- الرشيدي : وليد بن حسن بذال

الأساليب الدعوية في الشمائل النبوية استنتاج لها ولوسائلها ومظاهر استخدامها من خلال كتاب الجامع الصغير للسيوطي ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤١٠هـ.

١٣٥- الزحيلي : وهبه

○ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ودار الفكر : دمشق.

١٣٦- الزحيلي : وهبة

○ القصة القرآنية هداية وبيان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، دار الخير ، بيروت.

- ي -

١٣٧- أبو هلاله : يوسف محي الدين

○ الأحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ دار العاصمة ، الرياض.

١٣٨- أبو هلالة : يوسف محي الدين

○ التدرج بين التشريع والدعوة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، دار العاصمة ، الرياض.

١٣٩- العامري : يحيى بن أبي بكر

بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، الناشر : محمد ساطان التمتكاني ، صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٤٠- القرضاوي : يوسف

الخصائص العامة للاسلام ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٤١- القحطاني : يحيى بن علي بن جمعان

دعوة نوح عليه السلام ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، غير منشور ١٤١٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
كلمة الشكر والتقدير	أ - ب
١- المقدمة	١
○ أهمية الموضوع وسبب اختياره	٣
○ مشكلة البحث	٥
○ حدود الدراسة .	٥
○ منهج البحث .	٥
○ الدراسات السابقة .	٧
○ موضوعات البحث .	٩
٢- التمهيد ، ويشمل :	١٣
○ التعريف بمصطلحات عنوان البحث	١٣
❑ التدرج في اللغة	١٤
❑ التدرج في الاصطلاح	١٤
❑ الأسلوب في اللغة	١٦
❑ الأسلوب في الاصطلاح	١٦
❑ الأثر في اللغة	١٨
❑ الأثر في الاصطلاح	١٨
❑ الدعوة في اللغة.	١٩
❑ الدعوة في الاصطلاح	٢٠
○ حكم التدرج وآراء العلماء فيه .	٢٢

الفصل الأول : ٣٠
مظاهر التدرج في ضوء القرآن والسنة : ٣٠
المبحث الأول : ٣١
التدرج في دعوة بعض الرسل عليهم السلام ، وأثره في الدعوة. ٣١
أولا : في دعوة نوح عليه السلام . ٣١
ثانياً : في دعوة هود عليه السلام . ٣٩
ثالثاً : في دعوة صالح عليه السلام. ٤٦
رابعاً : في دعوة إبراهيم عليه السلام. ٥٣
خامساً : في دعوة شعيب عليه السلام . ٦٩
المبحث الثاني : ٧٥
التدرج في دعوة النبي ﷺ وأثره في الدعوة . ٧٥
- الاتصالات الشخصية للرسول ﷺ ومن تبعه من الصحابة. ٧٦
- الاجتماعات السرية لتعلم القرآن وفقهه وتطبيقه. ٧٨
- البدء بدعوة الأقربين. ٧٩
- إعلان الدعوة في تجمع عام. ٨١
- استمرارية إعلان الدعوة في النوادي وفي التجمعات ، وحتى في البيوت. ٨٦
- نشر الدعوة بأسلوب الهجرات ، وذهابه إلى الطائف ، وعرض نفسه على القبائل. ٨٨
- الانتقال بالدعوة إلى المدينة. ٩٧
- أسلوب تكوين المجتمع الايماني عن طريق المؤاخاة ، وبناء المسجد ، وعقد المعاهدة. ٩٩
- أساوب الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الدعوة. ١٠٥
- نشر الدعوة عن طريق إرسال الرسل والمكاتبات. ١٠٧
المبحث الثالث : ١١٣

التدرج في الخطاب وفي التربية: ١١٣
- في مخاطبة المؤمنين. ١١٤
- في مخاطبة أهل الكتاب. ١١٦
- في مخاطبة المشركين. ١٢١
- في التربية. ١٢٧

الفصل الثاني: ١٣٨
أهم أسس التـــــدرج وضوابطه : ١٣٨
المبحث الأول : ١٣٩
أهم أسس التدرج ١٣٩
- تقديم الأهم على المهم . ١٣٩
- التدرج من المحسوس إلى المعقول . ٤٦
- التدرج من الكليات إلى الجزئيات . ١٥٠
- التدرج من المبهم إلى الواضح. ١٥٤

المبحث الثاني : ١٥٨
أهم ضوابط أسلوب التدرج: ١٥٨
الفصل الثالث : ١٦٢
أثر التدرج في الدعوة إلى الله : ١٦٢
المبحث الأول : ترسيخ الدعوة في النفوس . ١٦٣
المبحث الثاني : التيسير على المدعوين وتحين الفرص لاستمالتهم. ١٧٠
المبحث الثالث : ضمان نجاح الدعوة ونشرها . ١٧٥
المبحث الرابع : مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم. ١٧٧
المبحث الخامس : أثر التدرج في الخطاب والتربية. ١٨٣
الخاتمة . ١٨٩
فهرس المصادر. ١٩٥
فهرس الموضوعات. ٢٠١-٢١٣